سلسلة العقائد
٥

الإيمان

خصائصه علاماته ثمراته

القسم الأول

بقلم
فضيلة الأستاذ
أحمد عز الدين البيانوني
رحمه الله تعالى

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م
الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة ص.ب : ١٦١ غورية . ت : ٩٣٥٦٤٤
حلب ص.ب : ١٨٩٣ . هـ : ١٧٧٦٤
بيروت ص.ب : ١٣٥٣٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، ملء السموات والأرض ، جلّتْ حكمتك ، تهدي من عبادك من تشاء ، وتضل من تشاء .

نحمدك على ما أنعمتَ وتفضلت وهديت ، حبَّبتَ الإيمان إلى عبادك المؤمنين ، وزينته في قلوبهم ، وجعلتهم من الراشدين السعداء .

ونشهد أن لا إله إلا أنت ، وحدك لاشريك لك .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، داعي العباد إلى الإيمان واليقين والحق المبين .

وعلى آله وصحبه والتابعين ، وتابعيهم على الهدى إلى يوم الدين .

وبعد : فإن الإيمان أول علامات السعادة ، به ارتقى المؤمنون الأولون في معارج الكمال ، وتسابقوا إلى الفضائل ، وتنزهوا عن النقائص والرذائل ، فعاشوا على وجه الأرض كالملائكة الأطهار ، وسَمَوا إلى أوج العزة والقوة والفخار ، فكانوا مَثَل الإنسانية الأعلى ، رفعةً وفضلاً وكرامة ونُبلاً .

ولا عجب . فبالإيمان زكَت نفوسهم ، وتهذبت أخلاقهم :

فكانوا رجال الصدق والإخلاص والصبر والتقوى والرحمة والتواضع والحياء والعفاف والجود ، والبذل والإيثار ..

وبالإيمان صلح مجتمعهم :

فكان مجتمعاً فاضلاً ، يأمر أفراده بالمعروف وينهون عن المنكر ، تعلو فيه كلمة الحق ، ودعوة الحق ، ويتآخون في الله ، ويتناصحون في الله ، ويتعاونون على البر والتقوى ، ويغيثون الملهوف ، ويقضون حاجة المحتاج ، تربط بين أفراده أخوّةُ الإيمان ، وتجمعهم جامعة الإيمان ..

وبالإيمان جاهدوا في الله حق جهاده ، فبذلوا الأموال والأرواح في سبيل الله ، ولإعلاء كلمة الله ، وحملوا لواء

الإسلام عـاليـاً ، وبلغوا بـه الشرق والغرب ، وأخرجوا النـاس من عبادة العباد ، إلى عبادة الله وحده .

وبـالإيمـان عـزّوا وسـادوا ، حتى ذلّت لهم القيـاصرة ، وخضعت لهم الأكاسرة ....

ثم خلَفْنا من بعدهم ، ودرجْنا على عكس ما كانوا عليه .

خبا نور الإيمان في قلوبنا ، فتدنّست نفوسنا ، وعرت عن الفضائل التي كانوا عليها ، فظهر فينـا الكـذب والكبر والقسوة والبخل والأثرة وخلف الوعد ..

وفسد مجتمعنا ، ففشتْ فيه المنكرات بلا نكير ، حتى ألفهـا الكبير ، وشبّ عليهـا الصغير ، فهبطنـا من عليـاء عـزتنـا ، وطمع فينـا العـدو ، حتى غزانـا في عُقر دارنـا ، وملَـك علينـا مصادرنا ومواردنا ، وسيّرنا في ركاب مصالحه ..

﴿ ذلك بأن الله لم يَكُ مغيّراً نعمةً أنعمها على قوم ، حتى يغيّروا ما بأنفسهم .. ﴾ [1] .

---

(١) ٥٣ ـ الأنفال .

فإذا أردنا أن نعود إلى ما كان عليه سلفنا الصالح ، من خير وصلاح وعزة وقوة وسيادة .. فلنجدد إيماننا ، ففيه فلاحنا إذا أردنا الفلاح ، وبه عزتنا إذا أردنا العزة ، وهو قوتنا إذا أردنا القوة ..

☆ ☆ ☆

ولبيان ذلك بالتفصيل ، جمعت في هذه الرسالة ما استطعت من خصائص الإيمان ، وعلامات الإيمان ، وثمرات الإيمان ، ليطَّلع عليها المسلمون اليوم ، ويعرفوا منها ما جهلوه ، ويذكروا منها مانسوه ، وليستيقظوا من سباتهم ، فيخرجوا من هذه الهوة السحيقة التي وقعوا فيها . ولا سبيل إلى ذلك ، إلا بالعودة إلى الإيمان ، والعمل بالإسلام ...

وهم قادرون على ذلك إذا صدقوا ، وبالغون ما أرادوا إذا عزموا ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

في أواخر جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ .

أحمد عز الدين البيانوني

الإيمان

تعريفه :

الإيمان في اللغة : هو التصديق بالقلب .

والإيمان في الشرع : هو الاعتقاد الجازم بالقلب ، والإقرار باللسان .

الأمر به :

وقد أمرنا الله تعالى بالإيمان فقال :

﴿ قل : ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ، الذي له ملك السموات والأرض ، لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي ، الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتَّبعوه لعلكم تهتدون ﴾ [١] .

وقد أمرنا الله تعالى بالثبات على الإيمان ، والازدياد منه ، فقال :

---

(١) ١٥٨ ـ الأعراف .

﴿ يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذي نزّل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ [١] .

أركانه :

الإيمان : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره » [٢] .

مكانة الإيمان والمؤمن :

الإيمان أفضل الأعمال .

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال :

(قلت : يارسول الله : أي الأعمال أفضل ؟

ـ أي أكثر ثواباً عند الله تعالى ـ

قال : « الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله » [٣] .

ولكرامة المؤمنين على الله تعالى ، أمر نبيه ﷺ ، أن يُلين

---

(١) ١٣٦ ـ النساء .

(٢) رواه مسلم .

(٣) البخاري ومسلم .

جانبه لهم ، ويتواضع لهم .

فقال تعالى : ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ [١] .

وفي الحديث القدسي : « من عادى لي ولياً فقد آذنتُه بالحرب - أي أعلمته أني محاربٌ له - وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضته عليه ، ولا يزال يتقرب إليّ عبدي بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنّه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ، ترددي في قبض نفْس المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته » [٢] .

وفي رواية : « من أهان لي ولياً فقد بارزته بالمحاربة ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ، ترددي في قبض نفْس عبدي المؤمن ، يكره الموت ، وأكره مساءته ، ولا بدَّ له منه » .

---

(١) ٨٨ - الحجر .

(٢) رواه البخاري .

صحبة المؤمن :

ولعظيم مكانة المؤمن عند الله تعالى أمر بالكينونة معه ، فقال عز وجل :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [١] .

والصادقون : هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم ، فصدقوا في إيمانهم ، وأخلصوا لله في أعمالهم .

وقد أمر النبي ﷺ أن لايُصاحَب إلا مؤمن ، فقال : « لاتصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي » [٢] .

التحذير من أذى المؤمن وخذلانه :

ولعظيم مكانة المؤمنين عند الله تبارك وتعالى ، هدّد من يؤذيهم ، واعتبر أذيتهم من الكبائر .

قال الله تعالى : **﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات**

---

(١) ١١٩ ـ التوبة .

(٢) أبو داود والترمذي .

بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ [١] .

« ولا يرى مؤمن من أخيه عورة ، فيسترها عليه ، إلا أدخله الله بها الجنة » [٢] .

وفي الحديث الشريف : « يامعشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ! لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتّبع عورة أخيه المسلم ، يتّبع الله عورته ، ومن يتّبع الله عورته ، يفضحه ولو كان في جوف بيته » [٣] .

ومن كلام ابن عباس رضي الله عنهما : إن الله حرّم من المؤمن دمه وماله وعرضه ، وأن يُظَنَّ به ظن السوء .

ونظر ابن عمر رضي الله عنه يوماً إلى الكعبة فقال :

ما أعظمك وما أعظم حرمَتكِ ، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك .

وفي الحديث الشريف : « أيُّما رجل أشاع على رجل مسلم

(١) ٥٨ ـ الأحزاب . (٢) الطبراني .
(٣) أبو داود .

كلمة هو منها بريء ، يرى أن يَشينه ـ أي يعيبه ـ بها في الدنيا ، كان حقاً على الله أن يرميه بها في النار .

ثم تلا مصداقه من كتاب الله تعالى :

﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ (١) .

وفي الحديث الشريف : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » (٢) ـ أي فعل الكافرين ـ .

إذا قال الرجل لأخيه : « يا كافر ، فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه » (٣) .

« المؤمن أخو المؤمن فلا يحلّ لمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ، ولا يخطب على خِطبة أخيه حتى يَذَر ـ أي يترك ـ » (٤) .

وقد حذّر النبي ﷺ من خذلان المؤمن مع القدرة على

---

(١) ١٩ ـ النور .

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) البخاري ومسلم .

(٤) مسلم .

نصرته .

ففي الحديث الشريف : « من أُذِلَّ عنده مؤمن فلم ينصره ، وهو يقدر على أن ينصره ، أذلَّه الله على رءوس الأشهاد يوم القيامة »[(١)] . .

وقد حذَّر النبي ﷺ من إغضاب المؤمن .

ففي الحديث الشريف : (أن أبا سفيان أتى مرة على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا :

ما أخذت سيوف الله من عدوّ الله مأخذها .

أي لم تستوفِ حقها منه .

فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟!

فأتى النبي ﷺ فأخبره .

فقال : « يا أبا بكر ! لعلك أغضبتهم ؟ لئن كنتَ أغضبتهم لقد أغضبت ربك .

---

(١) أحمد .

فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه ! آغضبتكم ؟

قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي [١] .

حذّر النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه من إغضابهم ، وهم من ضعفاء المسلمين ، وفيهم بلال الذي أنقذه أبو بكر من الرق والعذاب حين اشتراه بالمال فأعتقه ، ولم تشفع هذه السابقة الصالحة لأبي بكر في كلمة ، يُخشى أن تُغضب بلالاً ومن معه .

فلله ما أعظم مكانة المؤمن عند ربه عز وجل !؟

الإيمان أساس قبول الأعمال

ولعظيم مكانة الإيمان ، جعله الله تعالى أساس قبول الأعمال ، فلا عمل مقبول إلا من بعد الإيمان .

قال الله تعالى :

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو

---

(١) مسلم .

مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ﴾ [١] .

﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ [٢] .

﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ﴾ [٣] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه ، أن رجلاً من الكفار جاء مقنّعاً بالحديد ، يسأل رسول الله ﷺ أن يخرج مع المسلمين لقتال المشركين .

فقال له رسول الله ﷺ : « أسلم ثم قاتل » .

فأسلم فقاتل فقُتل .

فقال المصطفى ﷺ : « عَمِل قليلاً وأُجِر كثيراً » [٤] .

وحسب الإيمان مكانة رفيعة عند الله عز وجل ، أنه ذكره في القرآن الكريم بين الدعوة إليه ، والثناء عليه ، والوعد

---

(١) ١٢٤ ـ النساء .
(٢) ١٩ ـ الإسراء .
(٣) ٩٤ ـ الأنبياء .
(٤) البخاري ومسلم .

الصالح للمؤمنين .. في أكثر من أربعين وثمانمئة مرة .

ليس الإيمان دعوى باللسان :

قال الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول : آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين .
يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ (١) .

فمن ادّعى الإيمان بلسانه ، من غير أن ينطوي عليه قلبه ، فهو منافق ، والنفاق أقبح أنواع الكفر .

ولهذا قال الله تعالى في المنافقين :

﴿ إن المنافقين في الدّرك الأسفل من النار ﴾ (٢) .

ومن شأن المنافق ، أن يخالف قولُه فعلَه ، وسرُّه علانيته ، ومدخلُه مخرجه ، ومشهدُه مُغيبته ...

والمنافق خبيث الطبع ، ذميم الأخلاق ، يصدّق بلسانه ،

---

(١) ٨ ، ٩ ـ البقرة .   (٢) ١٤٥ ـ النساء .

وينكر بقلبه ، ويخالف بعمله ، ويصبح على حال ، ويمسي على غيره ، ويمسي على حال ، ويصبح على غيره ، ويميل ميلَ السفينة ، كلما هبَّت الريح هبَّت معها .

لهذا كله كذَّب الله تعالى دعوى المنافقين ، حين ادَّعوا الإيمان .

قال الله تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون ، قالوا : نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ [١] .

وقال عز وجل : ﴿ وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر ، وهم قد خرجوا به ، والله أعلم بما كانوا يكتمون ﴾ [٢] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل : لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ، ولمّا يدخلِ الإيمان في

---

(١) ١ ـ المنافقون .
(٢) ٦١ ـ المائدة .

قلوبكم ﴾ (١) .

وهـذا يـدل على أن الإيمـان أخصٌ من الإسـلام ، كما هـو مذهب أهل السنة والجماعة ، ويدلّ عليه حديث جبريل عليـه الصـلاة والسـلام : حين سـأل النبي ﷺ عن الإسـلام ، ثم عن الإيمان ، ثم عن الإحسان ...

فترقَّى من الأعم إلى الأخص ، ثم للأخص منه .

الإيمان والعمل الصالح :

الإيمـان والعمـل تـوءَمـان ، فـلا يتم إيمـان إلا بـالعمـل الصالح .

وقـد قرن الله تعـالى بينهما في القرآن الكريم ستين مرة ؛ منها :

قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتـاب لاريب فيـه هـدىً للمتقين : الـذي يـؤمنـون بـالغيب ، ويقيمـون الصـلاة ، وممـا رزقنـاهم ينفقون ﴾ (١) .

---

(١) ١٤ ـ الحجرات .   (٢) ٢ ، ٣ ـ البقرة .

وقـولـه عـز وجـل : ﴿ إن الـذين آمنـوا والـذين هـادوا والنصـارى والصـابئين من آمن بـالله واليـوم الآخر ، وعمـل صـالحـاً ، فلهم أجرهم عنـد ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ﴾ [١] .

وقوله سبحانـه : ﴿ فـأمـا من تـاب وآمن وعمل صـالحـاً ، فعسى أن يكون من المفلحين ﴾ [٢] .

وفي الحـديث الشريف : « الإيمـان والعمل أخوان شريكان في قَرَن واحد ، لايقبل الله أحدهما إلا بصاحبه » [٣] .

« الإيمان والعمل قرينان ، لايصلح كل واحد منهما إلا مع صاحبه » [٤] .

ومن كـلام الحسن البصري رضي الله عنـه : ليس الإيمـان بـالتمني - أي بـالتشهّي - ولا بـالتحلّي - يعني التزين بـالقول - ولكن هو ما وقر في القلب ، وصدّقه العمل .

---

(١) ٦٢ - البقرة .
(٢) ٦٧ - القصص .
(٣) الحاكم والديلمي .
(٤) الحاكم .

فالإيمان بالله ورسوله ، يستتبع العمل بكل ما أمر الله تعالى به ، وما أمر به الرسول ﷺ ، من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق ...

والإيمان بأهوال يوم القيامة ، يستدعي البعد عن أسباب تلك الأهوال .

والإيمان بالجنة ، يستدعي العمل الموصل إليها .

والإيمان بالنار ، يستدعي الهرب مما يؤدي إليها .

والله ولي التوفيق .

المعصية لاتنفي الإيمان

المعصية لاتنفي الإيمان ، ولكن تنافي كماله .

ففي الحديث الشريف : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » (١) .

---

(١) البخاري ومسلم .

فضعيف الإيمان يغفل عن رقابة الله عز وجل ، فيقع بسبب غفلته في المعصية .

أما قوي الإيمان ، المرتقي إلى مرتبة الإحسان ، الذي يعبد الله كأنه يراه ، فلا يقعد عن طاعة الله ، ولا يجرؤ على معصية الله .

من آمن فقد اهتدى

قال الله تعالى : ﴿ قولوا : آمنا بالله وما أُنزل إلينا ، وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون .
فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدَوْا ﴾ (١) .

فمن آمن بما أُنزل على محمد ﷺ ، فقد اهتدى ، ومن كفر بذلك أو بشيء منه ، فقد كفر وضل ضلالاً بعيداً .

---

(١) ١٣٦ ، ١٣٧ ـ البقرة .

شُعَبُ الإيمان

قال الله تعالى : ﴿ ألم تَرَ كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أُكُلهَا كلَّ حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون .

ومَثَل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ، اجتُثَّت من فوق الأرض ، مالها من قرار ﴾ [١] .

فالكلمة الطيبة : لا إله إلا الله ، والشجرة الطيبة المؤمن .

فالإيمان يجمع خصال الخير ، ويتفرع منه كل خصال الخير .

وفي الحديث الشريف : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول : (لا إله إلا الله) وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » [٢] .

والأذى : ما يؤذي كحجر وشوك وطين ورماد وقذر

(١) ٢٤ ـ ٢٦ ـ إبراهيم . (٢) البخاري ومسلم .

ونخامة وقشر بطيخ ، ونحو ذلك .

فالإيمان شجرة تتفرع عنها الأعمال الصالحة ، والأخلاق الكريمة ، وكلُّ عمل صالح وخُلُق كريم شعبة منها وثمرة من ثمراتها .

والمؤمن الكامل زكيّ النفس ، كريم الأخلاق ، قويم الطباع ، لايدع خصلة من خصال الخير إلا سبق إليها ، وتحلى بها .

حلاوة الإيمان

للإيمان حلاوة لا يعرف طعمها إلا من ذاقها .

في الحديث الشريف : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً » (١) .

« ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان :

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

---

(١) مسلم والترمذي .

وأن يحب المرء لايحبه إلا لله .
وأن يكره أن يعـود في الكفر ، كما يكره أن يُقـذَف في النار » [١] .

وفي الحـديث القـدسي : « النظرة سهم مسموم من سهـام إبليس ، من تركها مخافة مني أبـدلتـه إيمـانـاً يجـد حلاوتـه في قلبه » [٢] .

نعم ، ذاق السلف الصالح طعم الإيمـان وحلاوة الإيمـان ، فـاستسهلـوا في مرضـاة الله ورسـولـه كل صعب ، وتحملـوا كل شـدة ، وبـذلوا كل نفيس ، وجـاهـدوا في سبيل الله ، ولإعلاء كلمة الله ، وحملوا لواء الإسلام إلى بقـاع الأرض ، ونشروا دين الله في الشرق والغرب .

ذاق السلف الصـالـح طعم الإيمـان وحـلاوة الإيمـان ، فاستعذبوا السهر في طاعة الله ، والبذل في مرضاة الله ، والرضا بقضاء الله ، والصبر على المكاره استسلاماً لأحكام الله .

---

(١) البخاري ومسلم .
(٢) الطبراني والحاكم .

قال بعض السلف الصالح : لو علم الملوك ما نحن فيه من النعيم ، لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه من النعيم ، إنهم لفي عيش طيّب .

الناس فريقان : مؤمن وكافر

قال الله تعالى : ﴿ **هو الذي خلقكم ، فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير** ﴾ [1] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : إنّ الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً ، ويعيدهم في يوم القيامة مؤمناً وكافراً .

وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أنه قال :

خطبَنا رسول الله ﷺ عشية ، فذكر شيئاً مما يكون ، فقال :

« يولد الناس على طبقات شتى :

---

(١) ٢ ـ التغابن .

يولد الرجل مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت مؤمناً .

ويولد الرجل كافراً ، ويعيش كافراً ، ويموت كافراً .

ويولد الرجل مؤمناً ، ويعيش مؤمناً ، ويموت كافراً .

ويولد الرجل كافراً ، ويعيش كافراً ، ويموت مؤمناً » (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يُرسَل إليه الملَك ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات :

يكتْب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد .

فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ـ أي ما سبقت كتابته في علم الله ـ فيعمل بعمل أهل النار ،

---

(١) أحمد وغيره .

فيدخلها .

وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » [١] .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار .

وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس ، وهو من أهل الجنة » [٢] .

قال العلماء رضي الله عنهم :

إن الله خلق الكافر ، وكفرهُ فعلٌ له وكسْب ، مع أن الله خالق الكفر .

وخلَق المؤمن ، وإيمانُه فعلٌ له وكسْب ، مع أن الله خالق الإيمان .

---

(١) البخاري ومسلم . (٢) مسلم .

والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه ، لأن الله تعالى قدَّر ذلك عليه ، وعَلِمه منه .

ولا يجوز أن يوجد من كل منهما غير الذي قدَّر عليه ، وعلمه منه .

لأن وجود خلاف المقدور عجز ، ووجود خلاف المعلوم جهل ، ولا يليقان بالله تعالى .

وقيل لأعرابي : ما تقول في القدر ؟

فقال : أمرٌ تغالت فيه الظنون ، واختلف فيه المختلفون ، فالواجب أن نرُدَّ ما أشكل علينا من حكمه ، إلى ما سبق من علمه .

وفي الحديث الشريف : « كل مولود يولد على الفطرة : فأبواه يهوّدانه ، أو ينصّرانه ، أو يمجسّانه » (١) .

والفِطْرة : الخِلقْة ، والفاطر : الخالق .

قال العلماء رضي الله عنهم : المولود يولد على السلامة في

---

(١) مسلم .

الأغلب خِلقةً وطبعاً وبنية ، ليس معها إيمان ولا كفر ، ولا إنكار ولا معرفة . ثم يعتقد الكفر أو الإيمان بعد البلوغ إذا عقل .

واحتجوا بقوله ﷺ في تمام الحديث السابق .

« كما تُنتَج البهيمة بهيمةً جمعاء ـ أي سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء كاملتها ـ هل تُحسّون فيها من جَدعاء ـ أي مقطوعة الأذن ـ .

ثم قال راوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه :

واقرءوا إن شئتم : ﴿ **فِطرةَ الله التي فَطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله** ﴾ (١) .

وفي رواية : حتى تكونوا أنتم تجدعونها ـ يعني الأذن أي تقطعونها ـ .

قالوا : يارسول الله ! أفرأيت من يموت صغيراً ؟

قال : الله أعلم بما كانوا عاملين .

---

(١) ٣٠ ـ الروم .

وقالوا في معنى الحديث السابق :

يولد الرجل مؤمناً ... أي يولد ليكون مؤمناً عند البلوغ والعقل .

ويولد الرجل كافراً ... أي يولد ليكون كافراً على سابق علم الله فيه .

لا أنه يولد منذ طفولته مستحقاً جنة أو ناراً ، أو مميّزاً بين كفر وإيمان .

قال الله تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً** ﴾ [١] .

وقال تعالى في الإنسان : ﴿ **إنا هديناه السبيل ، إما شاكراً وإما كفوراً** ﴾ [٢] .

أي بيّنا له وعرفناه طريق الهدى والضلال ، والخير والشر ، ببعث الرسل ، فآمن أو كفر .

---

(١) ٧٨ ـ النحل . (٢) ٣ ـ الإنسان .

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ [١]

أي بيّنا له السبيل إلى السعادة والشقاء .

شتان بين مؤمن وكافر

قال الله تعالى : ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ؟ لايستوون :
أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فلهم جنات المأوى نُزُلاً بما كانوا يعملون .
وأما الذين فسقوا فمأواهم النار ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، وقيل لهم : ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ، قليلاً ما تتذكرون ﴾[٣] .

أي لايستوي المؤمن والكافر ، والضال والمهتدي ، ولا

---

(١) ١٠ ـ البلد . (٢) ١٨ ـ ٢٠ ـ السجدة .
(٣) ٥٨ ـ غافر .

يستوي العامل للصالحات والذي يعمل السيئات ، والله تعالى حكم عدل ، ولا يظلم مثقال ذرة .

وقال تعالى : ﴿ أم حسِب الذين اجترحوا السيئات [١] أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء مايحكمون ﴾ [٢] .

قال رجل من أهل مكة : هذا مقام تميم الداري ، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح ، يقرأ آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي :

﴿ أم حسِب الذين اجترحوا السيئات ، أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات .. ﴾ .

وقال بعض السلف : بتُّ عند الربيع بن خيثم ذات ليلة ، فقام يصلي ، فمر بهذه الآية ، فمكث حتى أصبح لم يَعدُها ببكاء شديد .

وقال بعضهم : رأيت الفضيل بن عياض ، يردد من أول

---

(١) أي : اكتسبوها .

(٢) ٢١ ـ الجاثية .

الليل إلى آخره ، هذه الآية ونظيرها ، ثم يقول مخاطباً نفسه : ليت شعري من أي الفريقين أنت ؟

وكانت هذه الآية تسمى : مبكاة العابدين .

وذلك لما انطوت عليه من بيان التفاوت الكبير بين المؤمن والكافر ، وما أعد الله تعالى لكل منهما في الآخرة .

فشتان بين مؤمن وكافر ! وشتان بين أعمى وبصير وشتان بين محسن ومسيء ! وشتان بين مُنعّم في الآخرة مكرّم ، وبين معذّب فيها مهين !

وفي الحديث الشريف : أن رجلاً مرّ على النبي ﷺ فقال لرجل جالس عنده : « مارأيك في هذا ؟ » .

فقال : رجل من أشراف الناس ، هذا والله حريّ إن خطب أن يُنكحَ - أي يُزَوَّج - وإن شفَع أن يشفَّع .

فسكت رسول الله ﷺ .

ثم مرّ رجل آخر ، فقال له رسول الله ﷺ : « مارأيك في هذا ؟ » .

فقال : يارسول الله ، هـذا رجل من فقراء المسلمين ، هـذا حرِي إن خطب أن لايُنكح ، وإن شفـع أن لا يُشفَّـع ، وإن قال لا يُسمع لقوله .

فقـال رسول الله ﷺ : « هـذا خيرٌ من ملءِ الأرض مثـلَ هذا » (١) .

الله تعالى يحب لعباده الإيمان

قـال الله تعـالى : ﴿ مـا يفعـل الله بعـذابكم إن شكرتم وآمنتم ، وكان الله شاكراً عليماً ﴾ (٢) .

أي: أيُّ منفعة لله تعالى في عذابكم إن شكرتم وآمنتم ؟!

فـالله تعـالى لايعـذِّب المـؤمن الشـاكر ، وتعـذيبـه عبـاده لايـزيـد في ملكـه ، وتركـه عقـوبتهم على فعلهم لاينقص من سلطانه .

وقـــال تعـــالى : ﴿ إن تكفروا فـــإن الله غني عنكم ،

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ١٤٧ ـ النساء .

ولا يرضى لعباده الكفر ، وإن تشكروا يَرضَهُ لكم ﴾ [١] .

فالله تعالى لايحب الكفر من عباده ، ولا يرضاه لهم ، وإن أراده منهم ، فالإرادة غير الرضا ، وهذا مذهب أهل السنة .

وإن تشكروا يرضَهُ لكم : أي يثيبكم على الشكر .

إعلان الإيمان

قال الله تعالى في بني إسرائيل :

﴿ فلما أحسّ عيسى منهم الكفر قال : من أنصاري إلى الله ؟

قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون .

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ [٢] .

وقال الله تعالى خطاباً للمؤمنين من هذه الأمة :

﴿ قولوا : آمنا بالله وماأنزل إلينا ، وماأنزل إلى إبراهيم

---

(١) ٧ ـ الزمر .
(٢) ٥٢ ، ٥٣ ـ آل عمران .

وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وماأوتي موسى وعيسى ، وماأوتي النبيون من ربهم ، لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ [(١)] .

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال :

قلت : يارسول الله : قل لي في الإسلام قولاً لاأسأل عنه أحداً غيرك .

قال : « قل : آمنت بالله ثم استقم » [(٢)] .

فالمؤمن الحق هو الذي يعلن إيمانه وإسلامه ، معتزاً بما هداه الله تعالى إليه من الحق ، ولا يبالي بما يصيبه في سبيل ذلك من أذى . كما فعل المسلمون الأولون ، الذين صدقوا في إيمانهم ، فصرخوا به وأعلنوه في مجامع المشركين ، وصبروا حتى علتْ كلمة الإيمان ، وزهق الباطل والطغيان .

يحكم على الناس بظواهرهم

وقد أمرنا الله تعالى أن نحكم على الناس بظواهرهم .

---

(١) ١٣٦ ـ البقرة .

(٢) مسلم .

قال الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام : « لست مؤمناً » ﴾ (١) .

نزلت هذه الآية الكريمة : في قوم من المسلمين ، مرّوا في سفرهم برجل ، معه جمل وغُنَيمة يبيعها ، فسلّم على القوم وقال : (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) .

فحمل عليه أحدهم فقتله .

فلما ذُكر ذلك للنبي ﷺ ، شقّ عليه ، ونزلت الآية .

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه أنه قال : قلت : يارسول الله ! أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا ، فضرب إحدى يديّ بالسيف ، فقطعها ، ثم لاذمني بشجرة ، فقال : « أسلمت لله » أأقتله يارسول الله بعد أن قالها ؟

فقال : « لاتقتله » .

فقلت : يارسول الله ! قطع إحدى يديّ ، ثم قال ذلك

---

(١) ٩٤ ـ النساء .

بعدما قطعها !

فقال : « لاتقتله ، فإن قتلته ، فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال » [١] .

ومعنى أنه بمنزلتك : أي معصوم الدم ، محكوم بإسلامه .

ومعنى أنك بمنزلته : أي مباح الدم بالقصاص لورثته لا أنه بمنزلته في الكفر .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال :

(بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة ـ بطن ـ من جُهيَنة ـ القبيلة المعروفة ـ فصبحنا القوم على مياههم ، ولحقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله .

فكف عنه الأنصاري ، وطعنته برمحي ، حتى قتلته ، فلما قدمنا المدينة ، بلغ ذلك النبي ﷺ .

---

(١) البخاري ومسلم .

فقال لي : « ياأسامة ! أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله !! »

قلت : يارسول الله ! إنما كان متعوذاً ـ أي معتصماً بها من القتل لامعتقداً لها ـ

فقال : « أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله » .

فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم)[١] .

أي ليكفّر إسلامي هذه الخطيئة .

وفي رواية : فقال رسول الله ﷺ :

« أقال : لا إله إلا الله وقتلته ؟! »

قلت : يارسول الله ! إنما قالها خوفاً من السلاح .

قال : « أفلا شققت عن قلبه : حتى تعلم أقالها أم لا »

فما زال يكررها : حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ) .

---

(١) البخاري ومسلم .

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، بعث بَعثاً - أي جيشاً - من المسلمين إلى قوم من المشركين ، وأنهم التقَوا ، فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين ، قصد له فقتله ، وأن رجلاً من المسلمين قصد غفلته - وكنا نتحدث أنه أسامة بن زيد - فلما رفع عليه السيف ، قال : لا إله إلا الله ، فقتله .

فجاء البشير إلى رسول الله ﷺ ، فسأله وأخبره حتى أخبره خبر الرجل ، كيف صنع .

فدعاه فسأله ، فقال : «لِمَ قتلتَه ؟ »

فقال : يارسول الله ! أوجع في المسلمين ، وقتل فلاناً وفلاناً - وسمى له نفراً - وإني حملت عليه ، فلما رأى السيف قال : لا إله إلا الله .

قال رسول الله ﷺ : «أقتلته ؟! »

قال : نعم .

قال : « فكيف تصنع بلا إله إلا الله ، إذا جاءت يوم القيامة ؟ »

قال : يارسول الله استغفر لي .

قال : « وكيف تصنع بلا إله إلا الله ، إذا جاءت يوم القيامة ؟ »

فجعل لايزيد على أن يقول :

« كيف تصنع بلا إله إلا الله ، إذا جاءت يوم القيامة ؟ » [١] .

وكان عمر رضي الله عنه يقول : إن ناساً كانوا يأخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ، وأن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيراً ، أمّنّاه ، وقرّبناه ، وليس لنا من سريرته شيء ، والله يحاسبه في سريرته . ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه ، وإن قال : إن سريرته حسنة [٢] .

وقد كان رسول الله ﷺ يقبل من المنافقين ظواهرهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى .

---

(١) مسلم . (٢) البخاري .

وفي ذلك إرشاد للمسلمين إلى الأخذ بالظاهر ، وفي ذلك مصلحة اجتماعية كبرى . لكن على المسلم الحق أن يحرص على صلاح باطنه ، كما يحرص على صلاح ظاهره .

فمن الدعاء المأثور : اللهم اجعل سريرتنا خيراً من علانيتنا ، واجعل علانيتنا صالحة .

وينبغي للمؤمن أن يكون تقي القلب ، حيّ الضمير يعرف الحق لأهله ، وإن حُكم له به في الظاهر .

ففي الحديث الشريف : « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إليّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحنَ بحجته من بعض ـ أي أعلم بها وأحسن بياناً لها ـ فأقضي له بنحو ما أسمع .
فمن قضيت له بحق أخيه ، فإنما أقطع له قطعة من النار »

تنبيه وعظة

قد يطلق الله تعالى ألسنة عباده بالثناء على مؤمن ، لما يرون من ظاهره الصالح ، ولحسن ظنهم به .

فعلى المؤمن أن يحرص كل الحرص على صلاح باطنه ،

ليوافق الظاهر الباطن ، وليكون عند حسن ظنهم به .

ولننتفع بقول بعضهم :

قال شيخ لمومِس : أنت سَكرَى كلَّ آنٍ بصاحب لك وجْدً .

فأجابت : أنا كما قلتَ لكن أنت حقاً كما للناس تبدو ؟

فعلى من ظهر بمظهر الصلاح ، أن يحاسب نفسه :

هل وافق ظاهره باطنه ؟ وليكثر من الاستغفار .

المؤمن الحق لايتأثر بإغراء ولا تهديد

قال الله تعالى في أصحاب الكهف :

﴿ وربطنا على قلوبهم ، إذ قاموا فقالوا : ربنا رب السموات والأرض ، لن ندعوا من دونه إلهاً ، لقد قلنا إذن شططا ﴾ [1] .

---

(١) ١٤ ـ الكهف .

قالوا ذلك ، وخرجوا هـائمين على وجوههم ، تمسكاً بـدينهم الحق ، وكان من أمرهم ما كان .

وقال الله تعالى في أصحاب الأخدود :

﴿ قُتِـل أصحـاب الأخـدود * النـارِ ذات الـوقـود * إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود .
وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ [١] .

آثر المؤمنون يومئـذ ، أن يلقوا بـأنفسهم في النـار المشتعلة التي أوقـدت لهم في الأخـاديـد ، واضطرهم إليهـا الكافرون ، آثروا ذلك على أن يعودوا في الكفر ، بعدمـا أشرقت في قلوبهم شمس الإيمـان ، فتنـورت بـه بصـائرهم ؛ وخـالطت بشـاشتـه قلوبهم .

وقـال تعـالى في سحرة فرعـون ، حين رأوا معجـزة مـوسى عليه الصلاة والسلام : **﴿ فـأُلقي السحرة سجـداً قـالوا : آمنـا برب هارون وموسى .**

قال : آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟! إنه لكبيركم الـذي علمكم

---

(١) ٤ ـ ٨ البروج .

السحر ، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلّبنكم في جذوع النخل ، ولتعلمُنّ أيُّنا أشد عذاباً وأبقى .

قالوا : لن نؤثرك على ما جائنا من البينات والذي فطَرنا ، فاقضِ ما أنت قاضٍ ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وأبقى ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ قل : يا أهل الكتاب هل تنقِمون منا إلا أن آمنا بالله ، وما أُنْزِلَ إلينا وما أُنْزِلَ من قبل ﴾ [٢] .

ونبينا محمد ﷺ حين جهر بالدعوة إلى الإسلام في مكة ، عرض عليه قومه أن يجمعوا له من المال حتى يكون أغناهم ، وأن يملّكوه عليهم .. على أن يكف عن دعوته ، ووسّطوا إليه في ذلك عمه أبا طالب ، فقال مستعلياً على هذا الإغراء :

« والله ياعم ! لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ، ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

---

(١) ٧٠ ـ ٧٣ ـ طه .　　(٢) ٥٩ ـ المائدة .

المؤمن الحق يدعو إلى الإيمان بالحق

قال الله تعالى في مؤمن آل فرعون ، الذي آمن بموسى ، ودعا قومه إلى الإيمان :

﴿ وقال الذي آمن : ياقوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب .

مثل دأبِ قوم نوحٍ وعادٍ وثمود والذين من بعدهم ، وما الله يريد ظلماً للعباد .

وياقوم إني أخاف عليكم يوم التّناد [١] يوم تُوّلون مدبرين ، مالكم من الله من عاصم ، ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ [٢] .

إلى أن قال : ﴿ وياقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ؟

تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم ، وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ﴾ [٣] .

---

(١) أي يوم القيامة .

(٢) ٣٠ ـ ٣٣ ـ غافر .

(٣) ٤١ ، ٤٢ ـ غافر .

وأرسل الله تعالى إلى أهل أنطاكية مَنْ أرسله من رسله ، فكفروا بهم ، وآمن منهم واحد ، فقال تعالى فيه :

﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى * قال ياقوم اتبعوا المرسلين . اتّبعوا من لايسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ (١) .

وعلى هذا درج الصحابة الكرام ، منذ أشرقت شمس الإيمان على قلوبهم . فكان أحدهم يدعو إلى الإسلام الأفراد والجماعات ، ويتعرّض بذلك للأذى ، فلا يبالي بما يلاقي .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

(لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ ، قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي ـ يعني مكة ـ فاعلْم لي علمَ ـ أي حال ـ هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ثم ائتني .

---

(١) ٢٠ ، ٢١ ـ يس .

فانطلق الأخ حتى قدم ، وسمع من قولـه ، ثم رجع إلى أبي ذر .

فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، ويقول كلامـاً مـا هو بالشعر .

فقال : ما شفيتني مما أردت .

فتزود وحمل شَنَّة ـ أي قربة ـ فيها ماء ، حتى قدم مكـة ، فأتى المسجد ، فالتمس النبي ﷺ ـ أي طلبـه ـ وهو لايعرفـه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل ، فاضطجع فرآه علي رضي الله عنـه ، فعرف أنـه غريب ، فلمـا رآه تبعـه ، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح .

ثم حمل قربته وزاده إلى المسجـد ، وظل ذلـك اليوم ، ولا يرى النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمر به عليّ .

فقال : أما آن للرجل أن يعرف منزله ؟

أراد أن يبيت عنده تلك الليلة أيضاً .

فأقامه فذهب به معه ، لايسأل أحدهما صاحبه عن شيء .

فلما كان اليوم الثالث ، فعل مثل ذلك ، فأقامه عليّ فقال :

ألا تحدّثني ما الذي أقدمك ؟

قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً أن ترشدني فعلت .

ففعل فأخبره . فقال : إنه حق ، وإنه رسول الله ، فإذا أصبحت فاتبعني ، فإني إن رأيت شيئاً أخافه عليك ، قمت كأني أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي .

ففعل ، فانطلق يقفوه ـ أي يتبعه ـ حتى دخل على النبي ﷺ ، ودخل معه ، وسمع من قوله ، فأسلم مكانه .

فقال له النبي ﷺ : ارجع إلى قومك فأخبرهم ، حتى يأتيك أمري .

فقال :والذي نفسي بيده ، لأصرُخَنَّ بها بين ظَهْرانيْهم .
ـ أي لأجهرنّ بكلمة التوحيد في جمعهم ـ

فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته :

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبْده ورسوله .

فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه ، وأتى العباس فأكب عليه وقال :

ويلكم ! ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأنه من طريق تجارتكم إلى الشام ؟

فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد لمثلها ، فضربوه ، وثاروا إليه ، فأكب العباس عليه .

ولما أراد أبو ذر رضي الله عنه أن يعود إلى أهله قال له رسول الله ﷺ :

« هل أنت مبلغٌ عني قومك ، عسى الله أن ينفعهم بك ، ويأجرك فيهم ؟ » .

فعاد فأسلم أخوه وأمها ، وأتوا قومهم فأسلم نصفهم ، وأسلم باقيهم حينما قدم النبي ﷺ المدينة .

وجاءت « أسلم » ـ قبيلة ـ

فقالوا : يارسول الله ! نُسلِم على الذي أسلم عليه إخوتنا .

فأسلموا ، فقال رسول الله ﷺ .

« غِفارٌ غفر الله لها ، وأسلمُ سالمها الله » (١) .

المؤمن معرّض للبلاء والفتن

قال الله تعالى : ﴿ أحسِب الناس أن يُتركوا أن يقولوا : « آمنا » وهم لايُفتَنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (٢) .

نزلت هذه الآية الكريمة في جماعة كانوا بمكة ، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ، ويعذبونهم على الإسلام ، فكانت صدورهم تضيق لذلك ، وربما استنكر بعضهم أن يمكّن الله تعالى الكفار من المؤمنين .

فنزلت هذه الآية مسلّية ومعلّمة أن هذه هي سنة الله تعالى في عباده اختباراً للمؤمنين وفتنة .

وذلك باقٍ في المؤمنين إلى يوم القيامة .

ولا يسع المؤمن الحق إلا الصبر ، وصدق التوكل على الله تعالى : واللجوء إليه .

---

(١) البخاري ومسلم .
(٢) ٢ ، ٣ ـ العنكبوت .

وقال الله تعالى يخاطب المسلمين الأولين :

﴿ لتبلَوُنّ في أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعُنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا ، فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمتْ وهو كافر ، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٢) .

وقد جاء الوعيد الشديد لمن يفتنِ المؤمنين عن دينهم قال الله تعالى : ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ، ثم لم يتوبوا ، فلهم عذاب جهنم ، ولهم عذاب الحريق ﴾ (٣) .

عن صهيب رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك :

---

(١) ١٨٦ ـ آل عمران .
(٢) ٢١٧ ـ البقرة .
(٣) ١٠ ـ البروج .

إني قد كبرت ، فابعث إليَّ غلاماً أعلّمه السحر .

فبعث إليه غلاماً يعلمه ، وكان في طريقه إذا سلك راهب ، فقعد إليه ، وسمع كلامه ، فأعجبه .

وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب ، وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال :

إذا خشيت الساحر فقل : حبسني ـ أي أخرني ـ أهلي .

وإذا خشيت أهلك ، فقل : حبسني الساحر .

فبينما هو على ذلك ، إذ أتى على دابة عظيمة ، قد حبست الناس ـ أي عن المرور ـ

فقال : اليوم أعلم ، الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟

فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة ، حتى يمضي الناس .

فرماها فقتلها ، ومضى الناس .

فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب :

أيْ بني ! أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ، فإن ابتليتَ فلا تدلّ عليّ .

وكان الغلام يبرىء الأكمه ـ وهو الذي يولد أعمى ـ والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء .

فسمع جليس للملك ، كان قد عمي ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال .

ماها هنا لك أجمع ، إن أنت شفيتني ؟

فقال : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله ، فإن آمنت بالله تعالى ، دعوتُ الله فشفاك .

فآمن بالله تعالى ، فشفاه الله تعالى .

فأتى الملك ، فجلس إليه كما كان يجلس .

فقال له الملك : مَن ردّ عليك بصرك ؟

قال : ربي .

قال : أوَلك رب غيري ؟!

قال : ربي وربك الله .

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام .

فجيء بالغلام ، فقال له الملك .

أيْ بني ! قد بلغ من سحرك ماتبرىء الأكمه والأبرص ، وتفعل وتفعل ؟!

فقال : إني لاأشفي أحداً ، إنما يشفي الله تعالى .

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب .

فجيء بالراهب ، فقال له : ارجع عن دينك .

فأبى ، فدعا بالمنشار ، فوُضع المنشار في مفرق رأسه - أي وسطه - فشقه به ، حتى وقع شِقّاه .

ثم جيء بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك .

فأبى فوُضع المنشار في مفرق رأسه ، فشقه به ، حتى وقع شِقّاه .

ثم جيء بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك .

فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال :

اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذروته ـ أي أعلاه ـ فإن رجع عن دينه ، وإلا فاطرحوه .

فذهبوا به ، فصعدوا به الجبل ، فقال :

« اللهم اكفنيهم بما شئت » .

فرجف بهم الجبل ، فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟!

فقال : كفانيهم الله تعالى .

فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال :

اذهبوا به ، فاحملوه في قُرقور ـ أي سفينة ـ وتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه ، وإلا فاقذفوه .

فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت .

فانكفأت بهم السفينة ـ أي انقلبت ـ فغرقوا ، وجاء يمشي

إلى الملك .

فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟!

فقال : كفانيهم الله تعالى .

فقال للملك : إنك لستَ بقاتلي ، حتى تفعل ما آمرك به .

قال : ماهو ؟

قال : تجمع الناس في صعيد واحد ، وتصلُبني على جذع ، ثم خذ سهماً من كنانتي ـ أي بيت سهامي ـ ثم ضع السهم في كبد القوس ، ثم قل :

« بسم الله ربّ الغلام » .

ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني .

فجمع الناس في صعيد واحد ، وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهماً من كنانته ، ووضع السهم في كبد القوس ، ثم قال :

« بسم الله رب الغلام » .

ثم رماه . فوقع السهم في صُدْغه ، فوضع يده في صدغه

فمات .

فقال الناس : آمنا برب الغلام

فأُتي الملك ، فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر ، قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس

فأمر بالأخدود بأفواه السِكك فخُدّت ـ أي شُقّت ـ وأُضرم فيها النيران ، وقال :

من لم يرجع عن دينه ، فأقحموه ـ أي ألقوه ـ فيها أو قيل له : اقتحم .

ففعلوا ، حتى جاءت امرأة ، ومعها صبيّ لها ، فتقاعست أن تقع فيها .

فقال لها الغلام : ياأمَّهْ ! اصبري فإنك علي الحق » [١] .

وفي الحديث الشريف : « بادروا بالأعمال ـ يعني الصالحة ـ فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ، ويمسي كافراً ، أو يمسي مؤمناً ، ويصبح كافراً ، يبيع دينه

(١) مسلم

بعَرَض من الدنيا »[١] .

والعَرَض بالتحريك : متاع الدنيا وحطامها .

وفي الحديث الشريف : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة ، في نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله تعالى ، وما عليه خطيئة »[٢] .

المؤمن مأمور بالصبر

قال الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، إن الله مع الصابرين ﴾[٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ﴾[٤] .

وكان رسول الله ﷺ ، إذا حَزَبه أمر ـ أي نزل به مهمّ ، أو أصابه غمّ ـ فزع إلى الصلاة .[٥] .

وفي الحديث الشريف : « الصبر نصف الإيمان »[٦] .

---

(١) مسلم .
(٢) الترمذي .
(٣) ١٥٣ ـ البقرة .
(٤) ٢٠٠ ـ آل عمران .
(٥) أحمد وأبو داود .
(٦) أبو نعيم والخطيب .

ذلك لأن الإيمان الحق ، تصديقٌ وعمل .

فأداة التصديق اليقين بالله سبحانه ، وبكل ما أوحى إلى رسوله ﷺ .

وأداة العمل صبرٌ جميل ، يحفز همة صاحبه إلى المكارم ، ويجنّبه الخبائث ، ويحميه المحارم .

فإذا حُرم المؤمن نعمة الصبر ، بات إيمانه أشلَّ أعرج معطّلاً .

لأن الصبر هو الأساس الذي تقوم عليه الناحية العملية من الدين .

فالصبر هو أداة ما افترض الله تعالى طاعته .

والثبات أمام العدو بطولة وشجاعة .

والصبر عن الشهوات والملاذّ عفة وقناعة .

والصبر لدى الخطوب والنوائب صبر .

وفي كظم الغيظ حلمٌ وسعة صدر .

ذلك هو الصبر في اسم واحد ومعانٍ شتى ، تنتظم كل عمل جليل ، وخلق نبيل .

وفي الحديث الشريف : « إن أمر المؤمن كله له خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن .

إن أصابته سراء ، شكر فكان خيراً له .

وإن أصابته ضراء ، صبر فكان خيراً له .

وليس ذلك إلا للمؤمن »[١] .

ومن كلام علي كرم الله وجهه : عليكم بالصبر ، فإن الصبر من الإيمان ، كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس معه ، ولا في إيمان لاصبر معه .

ذلك لأنه إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها ، وترادفت المصائب وطال ليلها ، فالصبر وحده هو الذي يُشع للمؤمن النور العاصم من التخبط ، والهداية الواقية من القنوط .

---

(١) مسلم .

والصبر فضيلة ، يحتاج إليهـا المؤمن في دينـه ودنيـاه ، ولا بد أن يبني عليها أعماله وآمـالـه .. يجب أن يوطّن نفسـه على احتمال المكاره دون ضجر ، وانتظـار النتـائـج مهما بعـدت ، ومواجهة الأعبـاء مهما ثقلت ، بقلب لاتعلق بـه ريبـة ، وعقل لا تطيش به كربة .

وقد أكـدت الآيـات القرآنيـة الكريمـة ، أن ابتلاء المؤمنين لامحيص عنـه ، حتى يـأخـذوا أهبتهم للنوازل المتـوقعـة ، فـلا تُذهلهم المفاجآت ويَذلُوا لها .

والصبر يعتمد على بديهيتين خطيرتين :

أما الأولى : فتتعلق بطبيعة هذه الحياة الدنيا ، فـإن الله تعـالى ، لم يجعلهـا دار جـزاء وقرار ، بـل جعلهـا دار تمحيص وامتحان .

وقد يُمتحن المؤمن بالشيء وضده ، مثلما يُصهر الحديـد في النار ، ثم يرمى به في الماء ..

* فيمتحن المؤمن بالغنى والفقر ، وبالصحـة والسقم ، وبسـائر المحاب والمكاره .

والابتلاء بالأحزان مُبهم الأسباب ! ويحسن أن نفهم أن أوضاع الناس في الحياة ، كجيش عُبِئ للقتال ، وقد تُكلف بعض فرقه القتال حتى الموت ، لإنقاذ فرق أخرى ، وإنقاذ الفرق الباقية ، يكون للقذف بها في معارك جديدة ، ترسمها القيادة ، حسبما ترى المصلحة العامة الكبرى ، فتقدير فردٍ ما في هذه الغمار المائجة ، لا يُنظر إليه ، لأن الأمر أوسع مدى ، من أن يرتبط بكيان فرد معين .

وقد يمتحن الله تعالى بعض الناس ، بصنوف من البلاء ، ربما انتهت بمصارعهم ، وليس أمام المؤمن ، إلا أن يستقبل البلاء الوافد بالصبر والتسليم .

وما دامت الحياة امتحاناً ، فليكرّس المؤمن جهوده للنجاح فيه ، ولّا نجاح إلا بالصبر والتسليم .

وامتحان الحياة ليس كلاماً يُكتب ، أو أقوالاً تُخطب ، إنها الآلام التي قد تقتحم النفس ، وتفتح إليها طريقاً من الرعب والحرج .

إنها العجائب التي تجعل الدنيا تُتخم بطون الرعاع ، وتُنيم

صدّيقين على الطوى ، وتجعل قوماً يدعون الألوهية ، وآخرون يُستشهدون وهم يدافعون عن حقوقهم المسلوبة .

هذه هي البديهة الأولى .

وأما البديهة الأخرى ، فتتعلق بطبيعة الإيمان .

فالإيمان صلة بين الإنسان ، وبين الله عز وجل .

وإذا كانت صلات الصداقة بين الناس ، لايُعتد بها ، ولا ينوّه بشأنها ، إلا إذا أكدها مرُّ الأيام وتقلب الليالي واختلاف الحوادث .

فكذلك الإيمان ، لابد أن تخضع صلته للابتلاء الذي يمحّصها ، فيكشف عن طيبها ، أو زيفها .

ولا ريب أن علم الله تعالى ، محيط بظواهر الأمور وبواطنها ، وأن هذا الامتحان لايأتي بجديد ، بالنسبة إلى الكشف الإلهي ، المستوعب للبدايات والنهايات ، غير أن الإنسان لايحاسب إلا على عمله الشخصي ، وإذا كان بعض المجرمين ، سينكرون ما اقترفوا من سيئات ، فكيف تقام

عليهم الحجة إلا بامتحان ، تشهده جوارحهم ، وتنطق به أركانهم ؟

الإيمان منحة إلهية للسعداء

الإيمان هبة من الله تعالى لمن أحب من عباده قال الله تعالى: ﴿ فمن يُردِ الله أن يهديه يشرح صدره .. ﴾ [١] .

وقال عز وجل : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟!
وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ، ويجعل الله الرجس على الذين لايعقلون ﴾ [٢] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (كان النبي ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس ، فأخبره الله تعالى أنه لايؤمن إلا من سبقت له السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل إلا من سبقت له الشقاوة في الذكر الأول)

وقال تعالى : ﴿ ولكنَّ الله حبب إليكم الإيمان ، وزينه في

---

(١) ١٢٥ ـ الأنعام .   (٢) ٩٩ ، ١٠٠ ـ يونس .

قلوبكم ، وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ (١) .

الإيمان كلٌّ لا يتجزأ

قال الله تعالى منددّاً على اليهود ومهدّداً لهم :

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟
فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يُردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون : نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقاً ، وأعتدنا للكافرين عذاباً مُهيناً ﴾ (٣) .

(١) ٧ ـ الحجرات .
(٢) ٨٥ ـ البقرة .
(٣) ١٥٠ ، ١٥١ ـ النساء .

هل الإيمان يزيد وينقص ؟

قال الله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجِلت قلوبهم ، وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون ﴾ (١) .

وقال تعالى فى معرض الثناء :

﴿ الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم .

فزادهم إيماناً ، وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (٢) .

وقال عز وجل : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ، ليستيقن الذين أوتواالكتاب ، ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾ (٣) .

وقال تعالى في المنافقين :

﴿ وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول :

---

(١) ٢ ـ الأنفال .
(٤) ١٧٣ ـ آل عمران .
(٣) ٣١ ـ المدثر .

أيكم زادته هذه إيماناً ؟

فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا ، وهم يستبشرون ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم .. ﴾ (٣) .

اختلف العلماء رضي الله عنهم في زيادة الإيمان ونقصانه على أقوال منها :

أنه لايزيد ولا ينقص ، وإنما هو معنىً فرد ، لايدخل معه زيادة إذا حصل ، ولايبقى منه شيء إذا زال ، فالزيادة والنقصان ، في متعلّقاته دون ذاته .

وقالوا : إنه يزيد وينقص من حيث الأعمال الصادرة عنه .

---

(١) ١٢٤ ـ التوبة .
(٢) ٢٢ ـ الأحزاب .
(٣) ٤ ـ الفتح .

لاسيما أن كثيراً من العلماء ، يوقعون اسم الإيمان على الطاعات ، لقوله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »[١] .

وقال آخرون : إنه يزيد وينقص ، لأنه عَرَض - والعرض هو كل موجود يحتاج في وجوده إلى موضع ، أي محل يقوم به - والعرض لايثبت زمانين ، فالإيمان للنبي ﷺ وللصلحاء متعاقب .

فيزيد باعتبار توالي أمثاله على قلب المؤمن ، وباعتبار دوام حضوره .

وينقص بتوالي الغفلات على قلب المؤمن .

وهذا المعنى موجود في حديث الشفاعة ، وفيه :
« فيقول المؤمنون : ياربنا ! إخواننا كانوا يصومون ويصلون ويحجون .

---

(١) مسلم والترمذي .

فيقـــال لهم ، أخرجـوا من عرفتم ، فتُحرِّم صـورهم على النار ،

فيُخرجـون خلقـاً كثيراً ، قـد أخـذت النـار إلى نصف ساقيه ، وإلى ركبتيه .

ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به .

فيقول : ارجعـوا ، فمن وجـدتم في قلبـه مثقـال دينـار من خير ، فأخرجوه .

فيُخرجون خلقاً كثيراً .

ثم يقولون : ربنا لم نَذَر فيها أحداً ممن أمرتنا .

فيقـول : ارجعـوا ، فمن وجـدتم في قلبـه نصف دينـار من خير ، فأخرجوه .

فيُخرجون خلقاً كثيراً .

ثم يقولون ، ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً .

فيقـول : ارجعـوا ، فمن وجـدتم في قلبــه مثقــال ذرة من

خير ، فأخرجوه .

فيُخرجون خلقاً كثيراً .

ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً » (١) .

الإيمان يقوى ويضعف

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال .

إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين .

وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون .

الآن خفّف الله عنكم ، وعلم أن فيكم ضعفاً .

فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين .

وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ (٢) .

شقّ على المسلمين حين فرض الله عليهم أن لايفرّ واحد من

---

(١) مسلم .

(٢) ٦٥ ، ٦٦ ـ الأنفال .

عشرة ، فخفف الله تعالى عنهم ، وكتب عليهم أن لا يفر مئة من مئتين .

وعلل ذلك ، بأن المؤمنين يفقهون ما يقاتلون عليه ، وهو الثواب ، والكافرون لايعلمون ما يقاتلون عليه :

وفي الحديث الشريف : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل : (لو أني فعلت كان كذا وكذا) .

ولكن قل : (قدر الله وما شاء فعل) . فإن لو تفتح عمل الشيطان » [١] .

مما يقوي الإيمان

هذا ، ومما يقوي الإيمان في قلب المؤمن ، ويزيده رسوخاً :

١ ـ كثرة النظر في كتاب الله تعالى ، وتدبر آياته ، وما

---

(١) مسلم .

يلفت إليه من عظيم قدرة الله تعالى ، ودقيق حكمتـه ، وأنواع خلقه ومصنوعاته ..

وما شرعـه للخلق من عبـادات ومعـاملات ، وحثّهم عليـه من أخلاق وآداب ، وفضائل ومكارم ..

ومـا منـح رسلـه الكرام ، عليهم الصـلاة والسـلامْ ، من مواهب سامية ، وخصائص رفيعة ، وما أيدهم به من معجزات وخوارق عادات ..

٢ ـ وكثرة النظر في العلوم الكونية ، وعجائب المخلوقات ، وأسرار الطبيعـة ، في الإنسـان والحيـوان ، والنبـات والجمـاد ، وسائر الموجودات ..

فإن ذلك يزيد المؤمن رسوخاً في إيمانـه ، ويمكّن جـذوره من قلبه :

قال الله تعالى :

﴿ أولم يروا إلى مـا بين أيـديهم ومـا خلفهم ، من السماء والأرض ؟ ﴾

﴿ أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء ؟ ﴾

﴿ وفي الأرض آيـــات للمـوقنين ، وفي أنفسكم أفـلا تبصرون ؟ ﴾ .

٣ ـ ومـا يقـوي الإيمـان : فعـل الطـاعـات ، وترك المخالفات ..

فـذلـك مما ينوّر القلب ، ويزكي النفس ، ويـذيق المؤمن حلاوة الإيمان .

٤ ـ والصحبـة الصـالحـة : فكم من ضعيف الإيمـان متحيّر متردد مشكّـك ، صحب مؤمنـاً قـوي الإيمـان ، فـانتقلت إليـه عدوى الخير ، وتخلّص من ظلمات الشـك ، وحيرة الارتبـاك ، ورسخ في قلبه الإيمان واليقين .

الخواطر لا تقدح في الإيمان

في الحـــديث الشريف : « يبعث الشيطـــان سرايـــاه ، فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده منزلة ، أعظمهم فتنة :

يأتي الشيطان أحدكم فيقول :

من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟

حتى يقول له : من خلق ربك ؟

فإذا بلغ ذلك ، فليستعذ بالله ولينْتهِ » [١] .

وفي حديث آخر « يأتي الشيطان أحدكم فيقول :

من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟

فيقول : الله .

فيقول : من خلق الله ؟!

فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله ورسله » [٢] .

فالله تعالى متصف بصفات الكمال ، ومنزه عن صفات النقصان ، وصفات الحوادث نقص ، فلا يجوز في حقه تعالى أن يوصف بشيء منها ، فهو مخالف للحوادث :

﴿ ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ﴾ [٣] .

---

(١) البخاري ومسلم .
(٢) البخاري ومسلم .
(٣) ١١ ـ الشورى .

المؤمنون قلّة في الناس

الإيمان جوهرة نفيسة ، وكل نفيس في الوجود عزيز .

قال الله تعالى : ﴿ **فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ، على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم** ﴾ [1] .

وقال عز وجل : ﴿ **وأوحي إلى نوح : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن** ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ **وما آمن معه إلا قليل** ﴾ [3] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (آمن من قومه ثمانون ، منهم ثلاثة من بنيه ، وثلاثة كنائنَ له) .

وقيل : كانوا أقل من ذلك .

هذا ،وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ،

وقال تعالى لنبينا ﷺ :

﴿ **وإن تُطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ،**

(١) ٨٣ ـ يونس . (٢) ٣٦ ـ هود .
(٣) ٤٠ ـ هود .

إن يتّبعون إلا الظن ، وإن هم إلا يَخرصون ﴾ (١) .

أي يَحدسون ويقدّرون .

ومنه : خرَصَ النخل يخرُصه خَرْصاً ، إذا خرزَه ليأخذ الخراج منه .

فالخارص يقطع بما لايجوز القطع به ، إذ لايقين معه .

وقال تعالى : ﴿ وإن كثيراً من الخُلطاء (٢) ليبغي بعضهم على بعض ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليلٌ ماهم ﴾ (٣) .

وقال تعالى معزياً رسوله ﷺ :

﴿ وما أكثر الناس ولو حرَصتَ بمؤمنين ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ تلك آيات الكتاب ، والذي أنزل إليك من ربك الحق . ولكن أكثر الناس لايؤمنون ﴾ (٥) .

---

(١) ١١٦ ـ الأنعام .
(٢) أي الأصحاب أو الشركاء .
(٣) ٢٤ ـ ص .
(٤) ١٠٣ ـ يوسف .
(٥) ١ ـ الرعد .

وسمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقول في دعائه :

اللهم اجعلني من عبادك القليل .

فقاله له عمر : ما هذا الدعاء ؟!

فقال : أردت قول الله عز وجل :

﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليلٌ ماهم ﴾

فقال عمر موبخاً نفسه : كل الناس أفقه منك ياعمر !

وهذا من تواضعه رضي الله عنه .

لايصاحب إلا المؤمن

قال الله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾** [١] .

وفي الحديث الشريف : « لاتصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي » [٢] .

---

(١) ١١٩ ـ التوبة .

(٢) أبو داود والترمذي .

« إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير :

فحامل المسك إما أن يُحذيك - أي يعطيك - وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة .

ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة » (١) .

« الرجل على دين خليله - أي صديقه - فلينظر أحدكم من يخالل » (٢) .

الوعد الحسن للمؤمنين

للمؤمنين الوعد الحسن في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر**

(١) البخاري ومسلم .

(٢) أبو داود والترمذي .

بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [1] .

قال المفسرون : سبب نزول هذه الآية ، أن بعض أصحاب النبي ﷺ ، شكا جَهْد مكافحة العدو ، وما كانوا فيه من الخوف على أنفسهم ، وأنهم لايضعون أسلحتهم فنزلت الآية .

وقال آخرون : مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعدما أوحي إليه خائفاً هو وأصحابه ، يدعون إلى الله سراً وجهراً ، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة ، وكانوا فيها خائفين ، يصبحون ويمسون في السلاح .

فقال رجل : يارسول الله ، أما يأتي علينا يومٌ نأمن فيه ، ونضع السلاح ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : « لاتلبثون إلا يسيراً ، حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً [2] ليس عليه

---

(١) ٥٥ ـ النور .

(٢) احتبى الرجل : جمع ظهره وساقيه بثوب أو غيره ، وقد يحتبي بيديه ، وهي قعدة مريحة دالة على الأمن والاطمئنان .

حديدة » .

ونزلت هذه الآيـة ، وأظهر الله نبيـه على جزيرة العرب فوضعوا السلاح وأمنوا .

فكان في هـذه الآيـة دلالـة على نبوة رسـول الله ﷺ لأن الله عز وجل أنجز ذلك الوعد ، فكان كما أخبر .

هـذا ، وقـد فتـح المسلمـون بعـد ذلـك مشـارق الأرض ومغاربها ، وأنجز الله تعالى لهم وعده .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هـادوا والنصـارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صـالحاً ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [١] .

وفي الإيمـان بـالله واليوم الآخر ، انـدراج الإيمـان بـالرسل والكتب وسائر أركان الإيمان .

وقـال تعـالى : ﴿ وعـد الله المـؤمنين والمـؤمنـات جنـات تجري من تحتهـا الأنهـار خـالـدين فيهـا ، ومسـاكن طيبـة في

---

(١) ٦٢ ـ البقرة .

جنـات عـدن ، ورضـوان من الله أكبر ، ذلـك هـو الفـوز العظيم ﴾ [١] .

وقال تعالى على لسان ذي القرنين :

﴿ وأمـا من آمن وعمـل صـالحـاً ، فلـه جـزاءً الحسنى ، وسنقول له من أمرنا يسراً ﴾ [٢] .

وقال تعالى مستثنياً من العذاب في الآخرة :

﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون شيئاً .

جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ، إنه كان وعده مأتياً ﴾ [٣] .

ـ أي آتيا لاشك فيه ـ

---

(١) ٧٢ ـ التوبة . (٢) ٨٨ ـ الكهف .

(٣) ٦٠ ، ٦١ ـ مريم .

الإيمان رأس البر

قال الله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابنِ السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون ﴾ (١) .

اختلف اليهود والنصارى في التوجه والتولي .

فاليهود يتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس .

والنصارى يتوجهون إلى المشرق مطلع الشمس .

وتكلموا في تحويل النبي ﷺ قبلة المسلمين إلى الكعبة بعدما كانت إلى بيت المقدس ، وفضلتْ كل فرقة ما تولَّت إليه .

---

(١) ١٧٧ ـ البقرة .

فقيــل لهم : ليس البر مــا أنتم فيــه ، ولكن البر من آمن بالله ..

والبرّ : اسم جامع للخير .

وتقدير الكلام : ولكن البرَّ برُّ من آمن بالله ..

تخصيص المؤمنين بالنداء

لمـا دعـا رسـول الله ﷺ النـاس إلى الإيمـان ، فـآمن من آمن ، وأعرض من أعرض ، خصَّ الله تعالى المؤمنين بعد ذلـك بالنداء ، فناداهم في القرآن الكريم ثمانياً وثمانين مرة بقوله :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا ...** ﴾ .

وبيّن لهم بعــد هــذا النــداء الرقيــق مــا أمرهم بــه من الطـاعـات ، ومـا نهـاهم عنـه من الآثـام ، ومـا شرعـه لهم من الأحكام ، وما فصّل لهم من أحكام الحلال والحرام .

فأكثر ما نزل من قوله تعالى : ﴿ **يـا أيهـا النـاس ..** ﴾ إنما نزل في مكة .

وكل مـا نـزل من قـولـه تعـالى : ﴿ **يــا أيهــا الــذين**

آمنوا .. ﴾ إنما نزل في المدينة .

المؤمن محسود

في الحديث الشريف : « كل ذي نعمة محسود » .

والإيمان أعظم النعم على الإطلاق ، ولهذا اشتد حسد الكافرين من أهل الكتاب والمشركين للمؤمنين ، على ما هداهم إليه من الإيمان واتباع شريعة الرحمن .

قال الله تعالى : ﴿ **ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ، أن يُنزّلَ عليكم من خير من ربكم ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم** ﴾ [1] .

والله تعالى اختص هذه الأمة فيما شرعه لها بخصوص رحمته .

كيف لا ، وقد جمع الإسلام بين مصالح الدين والدنيا ، وهدى إلى ما فيه السعادة في الدنيا والآخرة !

---

(١) ١٠٥ ـ البقرة .

وقال تعالى في الكافرين تحذيراً للمؤمنين :

﴿ وَدُّوا لـو تكفرون كما كفروا ، فتكـونـون سـواء ، فـلا تتخذوا منهم أولياء .. ﴾ (١) .

وقال تعالى : **﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ، حسداً من عنـد أنفسهم ، من بعـد مـاتبين لهم الحق ، فـاعفـوا واصفحـوا حتى يـأتي الله بـأمره ، إن الله على كل شيء قدير ﴾** (٢) .

نزلت هذه الآية في اليهود .

الحسد نوعان

والحسد نوعان : مذموم ومحمود :

فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم .

وسواءً أتمنيت مع ذلك أن تصير النعمة إليك أم لا .

وهذا النوع هو الذي ذمه الله تعالى بقوله :

---

(١) ٨٩ ـ النساء .

(٢) ١٠٩ ـ البقرة .

﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .. ﴾ [١] .

وإنما كان مذموماً ، لأن فيه تسفيه الحق سبحانه ، وأنه أنعم على من لا يستحق .

وأما الحسد المحمود ، فهو ما جاء في الحديث الشريف : « لا حسد إلا في اثنتين :

رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار .

ورجل آتاه الله مالاً ، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » [٢] .

وهذا الحسد معناه الغبطة .

وحقيقة الغبطة : أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ، ولايزول عنه خيره .

والحسد لايضر المحسود شيئاً .

---

(١) ٥٤ ـ النساء . (٢) البخاري ومسلم .

والعفو عنه فضيلة ، ولهذا قال تعالى في آخر الآية السابقة :

﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره .. ﴾ .

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ ، ركب على حمار عليه قطيفة فَدَكية ـ منسوبة إلى فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ـ وأسامة وراءه ، يعود سعد ابن عُبادة رضي الله عنه ، في بني الحارث من الخزرج ، قبل وقعة بدر .

فسارا حتى مرّا بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول [١] ـ وذلك قبل أن يسلم ولده عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ـ

فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود ، وفي المسلمين عبد الله بن رواحة رضي الله عنه .

فلما غشيَتْ المجلس عجاجة الدابة ـ أي : غبارها ـ خمَّر

(١) سلول هذه هي أم عبد الله بن أبيّ .

ـ أي غطّى ـ ابن أبيّ أنفه بردائه ، وقال (لاتغبروا علينا) .

فسلّم رسول الله ﷺ ، ثم وقف فنزل ، فدعاهم إلى الله تعالى ، وقرأ عليهم القرآن .

فقال له : عبد الله بن أبيّ بن سلول : أيها المرء : لا أحسن مما تقول إن كان حقاً ! فلا تؤذنا في مجالسنا ارجع إلى رحلك (١) ـ أي منزلك ـ ، فمن جاءك فاقصص عليه .

قال عبد الله بن رواحة : بلى يارسول الله ، فاغشنا ـ أي فأتِنا ـ في مجالسنا ، فإنا نحب ذلك .

فاستبّ المشركون والمسلمون واليهود ، حتى كادوا يتثاورون .

فلم يزل رسول الله ﷺ ، يخفّضهم حتى سكنوا .

ثم ركب رسول الله ﷺ دابته ، فسار حتى دخل على سعد ابن عبادة ، فقال رسول الله ﷺ :

« ياسعد : ألم تسمع إلى ما قال أبو حُباب ـ يريد عبد الله

---

(١) هذه زيادة عن رواية الصحيحين .

ابن أبيّ ـ ؟

قال : كذا وكذا .

فقال : أي رسول الله : بأبي أنت وأمي ! اعفُ عنه واصفح . فوالذي أنزل عليك الكتاب ، لقد جاءك الله بالحق الذي أنزل عليك ، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيرة ـ تصغير البحرة يريد بها المدينة ـ على أن يتوّجوه ـ أي يجعلوه ملكاً ـ ويعصّبوه بالعِصابة ، فلما ردَّ الله ذلك بالحق الذي أعطاك ، شَرق بذلك ـ أي غصّ فذلك الذي فعل ما رأيت .

فعفا عنه رسول الله ﷺ .

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب ، كما أمرهم الله تعالى ، ويصبرون على الأذى .

قال الله عز وجل : ﴿ **لتُبلَونّ في أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعُنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً ..** ﴾ [(١)] .

---

(١) ١٨٦ ـ آل عمران .

وقال سبحانه : ﴿ **ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ..** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **فاعفوا واصفحوا ..** ﴾

فكان رسول الله ﷺ يتأوّل في العفو عنهم ما أمره الله به ، حتى أذن له فيهم .

فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً ، فقتل الله به من قتل من صناديد الكفار ، وسادات قريش : وقفل ـ أي رجع ـ رسول الله ﷺ وأصحابه غانمين منصورين ، معهم أسارى من صناديد الكفار وسادات قريش ، قال عبد الله بن أبيّ ابن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان :

هذا أمرٌ قد توجّه ـ أي ظهر وجهه ـ

فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام ، فأسلموا نفاقاً .

فالحسد مذموم ، وصاحبه مغموم .

وقد حذّر النبي ﷺ منه ، فقال :

« إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار

الحطب »[١] .

وقال الحسن رضي الله عنه : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد : نَفَسٌ دائم ، وحزنٌ لازم ، وعَبرة لا تنفَد .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لا تُعادوا نعم الله .

قيل له : ومن يُعادي نعم الله ؟!

قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة :

(الحسود عدو نعمتي ، متسخّطٌ لقضائي ، غير راض بقسمتي) .

وقال بعضهم :

ألا قل لمن ظلّ حاسداً　　أتدري على من أسأتَ الأدب
أسأتَ على الله في حكمه　　إذا أنت لم ترضَ لي ما وهبْ

---

(١) أبو داود .

ويقال : الحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء ، وأول ذنب عُصي به في الأرض :

فأما في السماء : فحسد إبليس لآدم .

وأما في الأرض : فحسد قابيل لهابيل .

وقال بعضهم : إذا سرّك أن تَسلم من الحاسد ، فغُمَّ عليه أمرك .

أي لا تُظهر له ما أنعم الله به عليك .

وقال رجل من قريش :

حسدوا النعمة لما ظهرت   فرمَوها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أسدى نعمة   لم يَضِرها قول أعداء النعم

ولقد أحسن من قال :

اصبر على حسد الحسود   فإن صبرك قاتلُه
فالنار تأكل بعضها   إن لم تجد ما تأكلُهْ

النهي عن التهاجر بين المؤمنين

في الحديث الشريف : « لايحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث ، فإن مرت به ثلاث فليلقه ، وليسلّم عليه ، فإن رد السلام فقد اشتركا في الأجر ، وإن لم يرد عليه ، فقد باء بالإثم - أي رجع به - وخرج المسلِّم - أي البادىء بالسلام - » (١) .

هذا إذا كان الهجر لأمر دنيوي .

أما إذا كان الهجر لله تعالى . أي بسبب ديني ، فليس من هذا في شيء ، بل يكون الهجر حينئذ فضيلة دالة على الحب في الله والبغض في الله ، وذلك من أوثق عُرا الإيمان .

والهجر في الله سنة نبوية كريمة .

وقد هجر النبي ﷺ أزواجه رضي الله عنهن شهراً ، وهجر بعضهن أربعين يوماً .

وأمر المسلمين أن يهجروا الثلاثة الذين خلّفوا بعد غزوة العسرة وهجرهم خمسين يوماً ، وأمر نسائهم فهجرنهم عشرة

---

(١) أبو داود .

الأيام الأخيرة .

وهجرت السيدة عائشة رضي الله عنها ، ابن أختها عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه زمناً طويلاً ، حتى احتال في الدخول عليها ، ووقع على أقدامها وصالحها .

وهجر ابن عمر رضي الله عنهما ابناً له إلى أن مات .

وهجر ابن مغفَّل رضي الله عنه قريباً له خَذَف ـ أي رمى حصاة بين سبابته وإبهامه ـ بعد ما أخبره أن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف ، فقال له :

أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ، ثم عدت تخذف ؟

لا أكلمك أبداً .

وهجر سعيد بن المسيب رضي الله عنه ـ وهو من سادات التابعين أباه ، فلم يكلمه إلى أن مات .

وهجر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عمه وأولاده لقبولهم جائزة السلطان .

الأمر بالإصلاح بين المؤمنين

قال الله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين .

إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ (١) .

مَثَل المؤمن

في الحديث الشريف :

١ ـ « مَثَل المؤمن كمثل الخامة من الزرع ـ أي الزرع اللين ـ تُفيئها ـ أي تقلّبها ـ الريح ، تصرعها مرة ، وتعدلها أخرى حتى تَهيج ـ أي تيبس ـ » (٢) .

٢ ـ « مثل المؤمن مثل السنبلة ، تستقيم مرة ، وتخرُّ

---

(١) ٩ ، ١٠ ـ الحجرات .
(٢) مسلم .

مرة .. » (١) .

فالمؤمن معرض للبلايا والمحن ، والأسقام والآلام : والهموم والغموم ، تكفر من معاصيه ، وترفع في درجاته ، حتى يأتيه أجله .

٣ ـ « وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال :

كنا عند رسول الله ﷺ ، فقال :

« أخبروني بشجرة شبه الرجل المسلم ، لا يتحاتُّ ورقها ـ أي لا يسقط ـ تؤتي أكلها كل حين .

قال ابن عمر : فوقع في قلبي أنها النخلة ، ورأيت أبا بكر وعمر لايتكلمان ، فكرهت أن أتكلم وأقول شيئاً .

فقال عمر : لأن تكون قلتَها أحب إليَّ من كذا وكذا » (٢) .

٤ ـ « مثل المؤمن مثل النخلة : ما أخذت منها من شيء

---

(١) الحاكم .

(٢) البخاري .

نفعك » [١] .

٥ - « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » [٢] .

« المؤمن للمؤمن كالبينان يشدُّ بعضه بعضاً - وشبك بين أصابعه - » [٣] .

قال العلماء رضي الله عنهم : هذا تمثيل يفيد الحضّ على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته ، وأن ذلك أمر متأكد لابد منه ، فإن البناء لايتم ، ولا تحصل فائدته ، إلا بأن يمسك بعضه بعضاً ويقويه ، وإن لم يكن ذلك ، انحلّت أجزاؤه ، وخرب بناؤه .

وكذلك المؤمن ، لا يستقل بأمر دنياه ودينه إلا بمعاونة أخيه ومعاضدته ، فإن لم يكن ذلك عُجز عن القيام بكل مصالحه ، وعن مقاومة مضاره ، فحينئذ لايتم له نظام دنياه

---

(١) الطبراني .

(٢) مسلم وغيره .

(٣) البخاري ومسلم .

ولا دينه ، ويلحق بالهالكين .

لايدخل الجنة إلا مؤمن

في الحديث الشريف : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »[١] .

« من أحب أن يُزحزح عن النار ويُدخَل الجنة ، فلتأتيه منيته ، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه »[٢] .

وفي الحديث الشريف : أن النبي ﷺ قال :

« يابن الخطاب : اذهب فنادِ في الناس : أنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون » .

قال عمر : فخرجت فناديت : ألا إنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون[٣] .

من مظاهر الزيغ

ذهب طالب مسلم ، لدراسة الطب في بلاد أجنبية ، ثم

---

(١) مسلم . (٢) مسلم .

(٣) مسلم .

التقيت بقريب له ، فسألته عن حاله ؟

فقال : لقد تزلزل إيمانه ، وأخذ يزيغ !

قلت له : وكيف عرفت ذلك ؟

قال : إنه قال لي يوماً : أنتم تقولون :

كل مؤمن يدخل الجنة ، وكل كافر مآله النار .

فهل من المعقول أن يكون هذا العامي المسكين ، الذي لم ينفع البشرية شيئاً ، مآله الجنة ، لأنه مؤمن ؟!

وذلك العالم النحرير ، الضليع المخترع ، الذي نفع الإنسانية ، وأسدى إليها ماأسدى ، بعلومه الجمة ، ومخترعاته النافعة العظيمة ، مآله النار ، لأنه كافر ؟!

قال الشاب الزائغ هذا ، وهزّ رأسه مستنكِراً مستهجناً !

فقلت لقريبه هذا : إن مما يؤسف جداً ، أن يغتر أبناء المسلمين ، بثقافات دنيوية ، دون أن تقترن بثقافة إسلامية ، ولا بوعي إيماني مستنير ، فتقوم في أذهانهم أمثال هذه الشبه الواهية ، فيخرجون بها من حظيرة الإيمان ، ويقعون في وهدة الكفر ، وهم لايشعرون .

وقلت له : قل لهذا الشاب الحائر :

تصوَّر أن رجلاً ذا عيال كثيرين ، وله ولدان اثنان : أحدهما فقير مسكين ، ولكنه برٌّ بوالده ، ودود له ، يعترف كل آن بفضله عليه ، ويقابله بعبارات الثناء والإجلال .

والآخر عاق لوالديه ، يُنكر أبوَّة أبيه ، ويجفوه ولا يعترف له بفضل ، إلا أنه غني كثير المال ، كثير اصطناع المعروف ، لايدع من أهله وعشيرته وعيال أبيه ، إلا أسدى إليه معروفاً ، فهو يمد فقيرهم ، ويداوي عليلهم ، ويغيث اللهفان ، ويطعم الجوعان ..

فأي هذين الولدين ـ في ظنك ـ أحب إلى هذا الوالد ؟

لاشك أن الفقير البار ، المقرَّ بفضل والده عليه ، هو المرضي عنده والمحبوب لديه ، وإن لم يجد طولاً أن يُسدي إلى ذويه وعيال أبيه ما أسدى الثاني .

وأن الثاني الجافي عن أبيه ، المنكر لأبوَّته ، مسخوط عليه ، غير مرضي عنه ، وإن أسدى من المعروف ما أسدى .

ولله المثل الأعلى ، فالعبد المؤمن به ، والمعترف بربوبيته يحبه ويرضى عنه ، على عجزه وقصور نفعه ، ويدخله الجنة ، التي أعدها بحكمته للمؤمنين .

والكافر به ، الجاحد له ، المنكر لربوبيته ، يبغضه

ويسخط عليه ، ويدخله النار على ما أسدى من نفع ، واصطنع من معروف .

هذا ، والله تعالى حكم عدل ، لايظلم مثقال ذرة فيجزي هذا الكافر بحسناته في الدنيا ، بما يختاره له من رخاء العيش ، وصحة البدن ، ولا يجعل له حظاً في الآخرة .

والله عليم حكيم .

إيمان اليأس مردود

قال الله تعالى فيمن أنزل بهم العذاب من الكافرين :

﴿ فلما رأو بأسنا [١] قالوا :

آمنا بالله وحده ، وكفرنا بما كنا به مشركين .

فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، سنةَ الله التي قد خلت في عباده ، وخسر هنالك الكافرون ﴾ [٢] .

وقال تعالى : **﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ، فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً ، حتى إذا أدركه الغرق قال :**

---

(١) أي : عاينوا العذاب .

(٢) ٨٤ ، ٨٥ ـ غافر .

آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين .

آلآن وقد عصيتَ قبلُ وكنت من المفسدين ﴾ [١] .

فلم ينفعه إيمانه حين عاين الموت ، ويئس من الحياة .

قال المناوي رحمه الله تعالى في كتابه « فيض القدير على الجامع الصغير » عند شرح الحديث الآتي :

« خلق الله يحي بن زكريا في بطن أمه مؤمناً ، وخلق فرعون في بطن أمه كافراً » [٢] .

قال رحمه الله تعالى : ومذهب أهل الحق أن الإيمان لاينفع عند الغرغرة ولا عند معاينة عذاب الاستئصال .

وأخذ علماء الأمة الذين عليهم المعوَّل من ذلك إجماعهم على موت فرعون على كفره ، وأنه لم ينفعه قوله حين أدركه الغرق :

﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ .

---

(١) ٩٠ ، ٩١ ـ يونس .

(٢) الطبراني وغيره .

وأما ما صرح به بعضهم أن الإيمان ينتفع بـه ولو كان بعـد معـاينـة العـذاب ، فـلا التفـات لـه لمخـالفتـه لمـا حُكي عليـه الإجماع .

وكـذا مـا جزم بـه في الفتوحـات من صحـة الإيمـان عنـد الاضطرار ، وأن فرعون مؤمن ، فلا التفات له لمخالفته لذلك ، وإن كنـا نعتقـد جـلالـة قـائلـه ، فـإن العصمـة ليست إلا للأنبياء ..

وفي الحـديث الشريف : « لاتقـوم السـاعـة حتى تطلـع الشمس من مغربها ، فـإذا طلعت من مغربهـا آمن النـاس كلهم أجمعون ، فيومئذ لاينفع نفساً إيمانهـا لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبتْ في إيمانها خيراً » [1] . .

« ثلاث إذا خرجن لاينفع نفسـاً إيمـانهـا لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

طلـوع الشمس من مغربهـا ، والـدجـال ، ودابـة الأرض » [2] .

قـال الله تعـالى : ﴿ وإذا وقع القـول عليهم أخرجنـا لهم

---

(١) مسلم . (٢) مسلم .

دابـةً من الأرض تكلمهم : أن النـاس كانـوا بـآيـاتنـا لا يوقنون ﴾ (١) .

وذلـك حين يترك النـاس الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر ، وتنتشر المعاصي بلا نكير ، فحينئـذ يستوجبون غضب الله تعـالى ، ويُخرج الله تعـالى تلـك الـدابـة ، فـلا يـدركهـا طـالب ، ولا ينجـو منهـا هـارب ، فتسِمُ الكافر في وجهـه ، ويتميز المؤمن من الكافر .

لايُنال الإيمان في الآخرة

قال الله تعالى يصف ندامة الكافرين يوم القيامة وذلتهم :

﴿ ولـو ترى إذ المجرمـون نـاكسـو رءوسهم عنـد ربهم . ربنـا أبصرنـا وسمعنـا ، فـارجعنـا نعمـل صـالحـاً إنـا موقنون ﴾ (٢) .

أي آمنـا الآن ، وزالت عنـا الشكوك ، فـاعترفـوا بمـا كان منهم ، ثم طلبوا أن يُرَدّوا إلى الدنيا ليؤمنوا .

وقال تعالى على لسان الكافرين مبيناً ندامتهم في الآخرة :

---

(١) ٨٢ ـ النمل .

(٢) ١٢ ـ السجدة .

﴿ فلو أن لنا كرةً [١] فنكون من المؤمنين ﴾ [٢] .

يتمنون العودة إلى الدنيا حين لاينفعهم التمني .

وقال تعالى يصف مشهداً من مشاهد القيامة ، يدّعي الكافرون فيه الإيمان بالقرآن الكريم أو الرسول ﷺ .

﴿ وقالوا : آمنا به : وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾ [٣] .

أي يطلبون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا .

وهيهات من ذلك ! وأنى لهم تناول الإيمان في الآخرة ، بعدما كفروا في الدنيا ؟!

وفي الحديث الشريف : « يُجاء بالكافر يوم القيامة ، فيقال له :

أرأيت لو كان ملء الأرض ذهباً ، أكنت تفتدي به ؟

فيقول : نعم .

فيقال له : قد كنتَ سئلت ما هو أيسر من ذلك » [٤] .

---

(١) أي : عودة إلى الدنيا .

(٢) ١٠٢ ـ الشعراء .

(٣) ٥٢ ـ سبأ .

(٤) البخاري ومسلم .

أي وهو الإيمان والإسلام في الدنيا .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ، ومثلَه معه ، لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة ، وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾ (١) .

تغرير الكافر بالمؤمن

قال الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا : « اتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم »

وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ، إنهم لكاذبون ﴾ (٢) .

ومن تغرير الكافر بالمؤمن ، تزيين الكفر له ، والعمل على إضلاله بأي وسيلة كانت ، كالوعد بمنفعة دنيوية ، أو مصلحة شخصية ، أو تفريج كرب ، أو بذل مال ..

الكافر عدوّ للمؤمن لدود

لقد حذّر الله تعالى المؤمنين من الكافرين فقال :

﴿ إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً .

---

(١) ٤٧ ـ الزمر .   (٢) ١٢ ـ العنكبوت .

وإذا كنت فيهم ، فأقمت لهم الصلاة ، فلتقم طائفة منهم معك ، وليأخذوا أسلحتهم ، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك ، وليأخذوا حِذرهم وأسلحتهم ، ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم ، فيميلون عليكم ميلة واحدة .. ﴾ [١] .

وقال تعالى في المنافقين : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر .. ﴾ [٢] .

الصد عن الإيمان سمة الكافرين

قال الله تعالى : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب : آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار ، واكفروا آخره ، لعلهم يرجعون .
ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم .. ﴾ [٣] .

نزلت في كعب بن الأشرف وأضرابه ، قالوا للسفلة من قومهم :

آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ـ أي :

---

(١) ١٠١ ، ١٠٢ ـ النساء . (٢) ١١٨ ـ آل عمران .
(٣) ٧٢ ، ٧٣ ـ آل عمران .

أولـه ـ واكفروا آخره ، فـإنكم إذا فعلتم ذلـك ، ظهر لمن يتبـع محمـداً ارتيـاب في دينــه ، فيرجعــون عن دينــه إلى دينكم ، ويقولون : إن أهل الكتاب أعلم منا .

وقال تعالى : ﴿ **قل : ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء** ﴾ [١] .

أي وأنتم تشهـدون أنــه مكتـوب في التـوراة ، أن دين الله الذي لايُقبَل غيره ، إنما هو الإسلام ، وفيها نعت محمد ﷺ .

ثم قال تعالى يحذر المؤمنين :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الـذين أوتوا الكتاب يردُّوكم بعد إيمانكم كافرين** ﴾ [٢] .

وقـد نهى الله تعــالى قـوم شعيب عن الصــد عن دينــه ، فقال :

﴿ **ولا تقعـدوا بكل صراط توعِـدون وتصـدون عن سبيل الله من آمن به ، وتبغونها عوجاً ..** ﴾ [٣] .

---

(١) ٩٩ ـ آل عمران .
(٢) ١٠٠ ـ آل عمران .
(٣) ٨٦ ـ الأعراف .

نهي المؤمنين عن موالاة الكافرين

نهى الله تعالى المؤمنين عن محبة الكافرين وموالاتهم وملاطفتهم .

قال تعالى : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ..** ﴾[١] .

فالمؤمن إذا كان قائماً بين الكفار ، فله أن يداريهم باللسان إذا كان خائفاً على نفسه ، وقلبه مطمئن بالإيمان .

والتِقيَّة لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم .

ومن أُكره على الكفر فالصحيح أن له أن يتصلَّب ولا يجيب إلى التلفظ بكلمة الكفر ، ويجوز له ذلك .

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خَبالاً**[٢] **ودّوا ما عنتّم**[٣] **قد بدت**

---

(١) ٢٨ ـ آل عمران .

(٢)أي : يقصّرون في فسادكم ولا يتركون المكر والخديعة .

(٣) أي : يحبون أن تعقوا في مشقة .

البغضاء من أفواههم ، وماتخفي صدورهم أكبر .. ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً ﴾[٢] .

أي بإقامة حجته عليكم إذ قد نهاكم عن ذلك .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ، قد يئسوا من الآخرة ، كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لايهدي القوم الظالمين ﴾[٥] .

وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة الكافرين ، ولو

---

(١) ١١٨ ـ آل عمران .
(٢) ١٤٤ ـ النساء .
(٣) ١ ـ الممتحنة .
(٤) ١٣ ـ الممتحنة .
(٥) ٥١ ـ المائدة .

كانوا آباءهم أو أبناءهم .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إنِ استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ [١] .

وقال عز وجل : ﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ [٢] .

نزلت هذه الآية الكريمة في أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، الذي قتل أباه يوم بدر .

وفي أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، إذ همَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن .

وقال له ولده عبد الله : لقد رأيتك يوم بدرٍ فحِدتُ عنك .

---

(١) ٢٣ ـ التوبة .   (٢) ٢٢ ـ المجادلة .

قال له أبوه أبو بكر رضي الله عنه : أما إني لو رأيتك ما حِدتُ عنك .

وفي مصعب بن عُمير رضي الله عنه ، إذ قتل أخاه عُبيد ابن عمير يومئذ .

وفي عمر رضي الله عنه إذ قتل قريباً له يومئذ أيضاً .

وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث ، إذ قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ .

ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسرى بدر ، فأشار الصديق بأن تؤخذ منهم الفدية ،. فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين ، وقال : هم بنو العم والعشيرة ، ولعل الله تعالى أن يهديهم .

وقال عمر رضي الله عنه : لا أرى ما رأى يارسول الله ، هل تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأقتله ، وتمكن علياً من عقيل ، وتمكن فلاناً من فلان ، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادةً ـ أو مُوادّة ـ للمشركين ..

أولئك رضي الله عنهم ورضوا عنه .

لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى ، عوَّضهم

الله بـالرضـا عنهم وأرضـاهم عنـه بمـا أعطـاهم من النعيم المقيم ، والفوز العظيم ، والفضل العميم ..

المؤمن لا تضرُّه سخرية الكافر

قـال الله تعـالى : ﴿ **زُين للـذين كفروا الحيـاة الـدنيـا ، ويسخرون من الـذين آمنـوا ، والـذين اتقـوا فـوقهم يـوم القيامة ..** ﴾ (١) .

كان أعداء محمد ﷺ ، يعظّمون شـأن أنفسهم في الـدنيـا ، ويغتبطـون بهـا ، ويسخرون من أتبــاع محمــد ﷺ في طلبهم الآخرة ، وفقرِهم في الدنيا وإقلالهم .

قال خباب بن الأرتّ رضي الله عنه : كان لي على العـاص ابن وائل دَين ، فأتيته أتقاضاه ـ أي استوفيه منه ـ

فقــال لي : لن أقضيــك ـ أي لن أوفيــك ـ حتى تكفر بمحمد .

فقلت له : إني لن أكفر به حتى تموت ثم تُبعث .

قـال : وإني لمبعـوثٌ بعـد المـوت ؟! فسـوف أقضيــك إذا رجعتُ إلى مال وولد (٢) .

---

(١) ٢١٢ ـ البقرة .

(٢) البخاري .

وقال تعالى فيا يوبخ به الكافرين يوم القيامة :

﴿ إنه كان فريق من عبادي يقولون :
ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الراحمين ،
فاتخذتموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري ، وكنتم منهم تضحكون .
إني جزيتهم اليوم بما صبروا ، أنهم هم الفائزون ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * (٢) وإذا مروا بهم يتغامزون * (٣) وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين (٤) .
وإذا رأوهم قالوا : إن هؤلاء لضالّون .
وما أُرسلوا عليهم حافظين * (٥) فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون * هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ (٦) .

---

(١) ١٠٩ ـ ١١١ ـ المؤمنون .

(٢) أي : على وجه السخرية منهم .

(٣) يعيّرونهم بالإسلام ويعيبونهم به .

(٤) أي معجبين بما هم عليه من الكفر ، متفكهّين بذكر المؤمنين .

(٥) أي موكّلين بأحوالهم رقباء عليهم .

(٦) ٢٩ ـ ٣٦ ـ المطففين .

ترغيب الكافر بالإيمان

قال تعالى : ﴿ **قل للذين كفروا : إن ينتهوا** [١] **يُغفَر لهم ما قد سلف ..** ﴾ [٢] .

إسلام وحشي :

وبعث رسول الله ﷺ إلى وحشيّ بن حرب ، قاتل حمزة رضي الله عنه ، يدعوه إلى الإسلام .

فأرسل إليه : يامحمد ! كيف تدعوني ، وأنت تزعم أن من قَتَل أو أشرك أو زَنى يَلقَ آثاماً ، يُضاعف له العذاب يوم القيامة ، ويخلد فيه مهاناً ؟!

وأنا صنعت ذلك ، فهل تجد لي من رخصة ؟

فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيماً** ﴾ [٣] .

فقال وحشي : هذا شرط شديد : إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً .

---

(١) أي عن الكفر . (٢) ٣٨ ـ الأنفال .

(٣) ٧٠ ـ الفرقان

فلعلّي لا أقدر على هذا !

فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الله لايغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (١) .

فقال وحشي : يامحمد ! هذا أرى بعد مشيئة ، فلا أدري هل يغفر لي أم لا ؟ فهل غير هذا ؟

فأنزل الله عز وجل : ﴿ قل : ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (٢) .

قال وحشي : هذا نعم ، فأسلم .

فقال الناس : يارسول الله ! إنا أصبنا ما أصاب وحشي .

قال : « هي للمسلمين عامة » (٣) .

الإسلام يهدم ما قبله

إسلام عمرو بن العاص :

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : « لما انصرفنا يوم

---

(١) ٤٨ ـ النساء . (٢) ٥٣ ـ الزمر .
(٣) الطبراني .

الأحـزاب عن الخنــدق ، جمعت رجــالاً من قريش ، وكانــوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم :

تعلمون والله أني أرى أمر محمـد يعلو الأمـور علـواً منكراً ، وإني لقد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟

قالوا : وما رأيت ؟

قـال : رأيت أن نلحـق بـالنجـاشي ـ أي ملـك الحبشــة ـ فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا ـ أي غَلب ـ كنا عند النجاشي ، فإنّا إن نكن تحت يديه ، أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ؛ وإن ظهر قومنـا ـ أي غَلبوا ـ فنحن من قـد عرفوا ، فلا يأتينا منهم إلا خير .

قالوا : إنّ هذا لرأي .

قلت : فاجمعوا لنا ما نُهدي به .

فكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأُدُم .

فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده ، إذ جـاء عمرو بن أميـة الضمري رضي الله عنــه ، وكان رســول الله ﷺ أرسلــه إليــه في شــأن جعفر وأصحابه .

فدخل عليه ، ثم خرج من عنده .

فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلت على النجاشي ، فسألته إياه ، فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد .

فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع .

فقال : مرحباً بصديقي ، هل أهديت لي من بلادك شيئاً ؟

قلت : نعم أيها الملك ! قد أهديت لك أدماً كثيراً ، ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه .

ثم قلت له : أيها الملك ! إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجلٍ عدوٍّ لنا . فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا .

فغضب ، ثم مدَّ يده ، فضرب بها أنفه ضربة ، ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقتِ الأرض ، لدخلت فيها فرَقاً ـ أي خوفاً منه ـ

ثم قلت : أيها الملك ! والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه .

قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر - يعني الوحي الذي كان يأتي موسى - فتقتله ؟!

قلت : أيها الملك ! أكذاك هو ؟

قال : ويحك ياعمرو ! أطعني واتّبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرنّ على من خالفه ، كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده .

قلت : أفتبايعني له على الإسلام .

قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام .

ثم خرجت على أصحابي ، وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً رسول الله ﷺ لأُسلم .

فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة :

فقلت له : أين أبا سليمان ؟

فقال : والله لقد استقام المنسِم - خف البعير ، أي ظهر الحق وإن الرجل لنبي ، اذهب والله أسلمْ ، فحتى متى ؟

قلت : والله ما جئت إلا لأسلم .

فقدمنا المدينة على النبي ﷺ ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع .

ثم دنوت فقلت : يارسول الله ! إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي .

فقال رسول الله ﷺ : « ياعمرو ! بايع » قال : « الإسلام يَجُبُّ - أي يقطع ويهدم - ما كان قبله . وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها » .

فبايعته ثم انصرفت . (١) .

وفي رواية : أن النبي ﷺ قال له :

« أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ » (٢) .

قال بعض السلف : هذه لطيفة من الله تعالى ، منّ بها على الخلق ، وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم ، ويرتكبون المعاصي والآثام ، فلو كان ذلك يوجب مؤاخذة لهم ، لما استدركوا أبداً توبة ، ولا نالتهم مغفرة ، فيسّر الله تعالى عليهم قبول التوبة عند الإنابة ، وبذَلَ المغفرة بالإسلام

---

(١) ابن إسحاق .
(٢) مسلم .

وهدَم جميع ما تقدم ، ليكون ذلك أقرب لدخولهم في الدين ، وأدعى إلى قبولهم لكلمة المسلمين ، ولو علموا أنهم يؤاخذون بما سبق منهم ، لما تابوا ولا أسلموا .

وعلى هذا قال الشاعر :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف ... وتاب مما قد جناه واقترف
لقوله : قل للذين آمنوا : ... إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف

المغفرة للمؤمن

قال الله تعالى في معرض الثناء على عباده القائلين :

﴿ ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا .
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار ﴾ .
إلى أن قال : ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم ، وأوذوا في سبيلي ، وقاتلوا وقُتلوا ، لأكفّرن عنهم سيئاتهم .. ﴾ [1] .

---

(١) ١٩٣ ـ ١٩٥ ـ آل عمران .

قال الحسن رضي الله عنه : ما زالوا يقولون : ربنا ، ربنا .. حتى استجاب لهم .

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : من حزَبه أمر ـ أي نزلت به شدة ـ فقال خمس مرات : « ربنا » أنقذه الله مما يخاف ، وأعطاه ما أراد .

قيل وكيف ذلك ؟

قال : اقرءوا إن شئتم : ﴿ **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ..** ﴾

إلى قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تخلف الميعاد** ﴾ .

أي جاء بعدها : ﴿ **فاستجاب لهم ربهم ..** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾ [١] .

وقال أنس : أي : أخذ بسنة النبي ﷺ .

الإيمان يأرِز إلى المدينة

في الحديث الشريف : « إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود

---

(١) ٨٢ ـ طه .

غريباً كما بدأ ، وهو يـأرز ـ أي ينضم ويجتمع ـ بين المسجدين كما تأرِز الحية إلى جحرها » [١] .

« إن الإيمان ليـأرز إلى المـدينـة ، كما تـأرز الحيـة إلى جحرها » [٢] .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى :

معناه : أن الإيمان أولاً وآخراً بهذه الصفة ، لأنـه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه ، وصح إسلامه ، أتى المـدينـة إمـا مهاجراً مستوطنـاً ، وإمـا متشوقـاً إلى رؤيـة رسـول الله ﷺ ، ومتعلماً منه ومتقرباً .

ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك ، ولأخذ سيرة العدل منهم ، والاقتداء بجمهور الصحابة رضي الله عنهم فيها .

ثم مَن بعـدهم من العلمـاء الـذين كانوا سُرُج الوقت ، وأئمـة الهدى ، لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم .

فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به ، يرحل إليها .

ثم بعـد ذلـك في كل وقت إلى زمـاننـا ، لزيـارة قبر النبي ﷺ ، والتبرك بمشاهدة آثاره ، وآثار أصحابه الكرام ..

---

(١) مسلم .
(٢) مسلم .

فلا يأتيها إلا مؤمن .

ذهاب الإيمان في آخر الزمان

في الحديث الشريف : « لاتقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله ، الله » [(١)] .

زاد في رواية : وتأتي الريح من قِبل اليمن ، فتقبض أرواح المؤمنين .

الردة عن الإيمان كفر

قال الله تعالى : ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً ، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم** ﴾ [(٢)] .

قال المفسرون : نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر رضي الله عنه ، لأنه قارب بعض ما ندبه إليه المشركون .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أخذ المشركون عماراً ، وأخذوا أباه وأمه سمية ، وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً فعذبوهم ، ورُبطت سمية بين بعيرين ، وطعنت بحربة ،

---

(١) مسلم .

(٢) ١٠٦ ـ النحل .

فقتلت وقتل زوجها ياسر ، وهما أول قتيلين في الإسلام .

وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها ، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ .

فقال رسول الله ﷺ : « كيف تجد قلبك ؟ »

قال : مطمئن بالإيمان .

فقال رسول الله ﷺ : « فإن عادوا فعُدْ »

وقال تعالى في الكافرين مخاطباً المؤمنين :

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه ، فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [1] .

فالردة عن الإسلام كفر ، ومحبطة للعمل الصالح ، وموجبة لقتل المرتد إلا إن يتب ويعُد إلى الإسلام .

ولهذا قاتل أبو بكر المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ ، فقتل منهم من قتل ، ورجع منهم إلى الإسلام من رجع .

---

(١) ٢١٧ ـ البقرة .

وفي الحـــديث الشريف : « لا يحـلُّ دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث :

١ ـ الثيّب الزاني : وهـو من تـزوج ووطىء ، ثم زنى بعـد ذلك .

٢ ـ والنفس بالنفس : وهو القتل بسبب القتل .

٣ ـ والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وهو المرتـد والعيـاذ بـالله تعـالى ، فـإن لم يتب ويعُـدْ إلى الإسلام يُقتَل .

علّة المسلمين اليوم ضعف الإيمان

وصل المسلمون الأولون إلى مـا وصلوا إليـه من العلم والعزة والقـوة ، والنصر على الأعـــداء ، والخلـق الكريم والفضـل العظيم .. بقوة إيمانهم .

وصار المسلمون اليوم إلى جهل وذلة وضعف وانهزام ، وسوء معاملة وفساد خلق .. بسبب ضعف الإيمان .

وإذا ضعف الإيمان في أمة ، ضعفت فيها الفضائل ، لأنهـا من ثمرات الإيمان .

فكان في المسلمين الأولين الشجاعة ، والسخـاء ، والإيثـار ،

والصدق ، والأمانة ، والحياء ، والوفاء بالوعد ، والغَيرة على الحق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .. وما إلى ذلك من الفضائل ، وذلك بسبب إيمانهم وصار وصف المسلمين اليوم الجبن ، والبخل ، والأثرة ، والكذب ، والخيانة ، والوقاحة ، وخلف الوعد ، وممالأة الباطل ، والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وما إلى ذلك من رذائل وخصال سوء ، وذلك بسبب ضعف الإيمان .

ومن أجل هذا وأمثاله ، حلّت بهم النكبات ، وطمع فيهم الأعداء :

ففي الحديث الشريف : « يوشك أن تداعَى عليكم الأمم ، كما تَداعى الأكَلة إلى قصعتها .

قالوا : ومن قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟!

قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعنّ الله من قلوب عدوكم المهابة منكم ، وليقذفَن في قلوبكم الوهن .

قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟

قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » (١) .

---

(١) أبو داود والبيهقي .

فالمجتمع الإسلامي ، داؤه ضعف الإيمان .

ودواؤه العودة إلى الإيمان الصادق ، واليقين الذي كان عليه المسلمون الأولون .

وإن الإنسانية الحائرة المعذبة الضالة ، لن تجد دواءها وهداها إلا في ظل الإيمان .

فليعمل الدعاة المصلحون المخلصون ، على ردّ الأمة إلى حظيرة الإيمان ، وبحبوحة الإسلام ، لينقذوها من حيرتها وشقائها وضلالها .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

ولقد صدق الله تعالى إذ يقول :

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (١) .

---

(١) ١٥ ، ١٦ ـ المائدة .

الفهرس

الموضوع	الصفحة